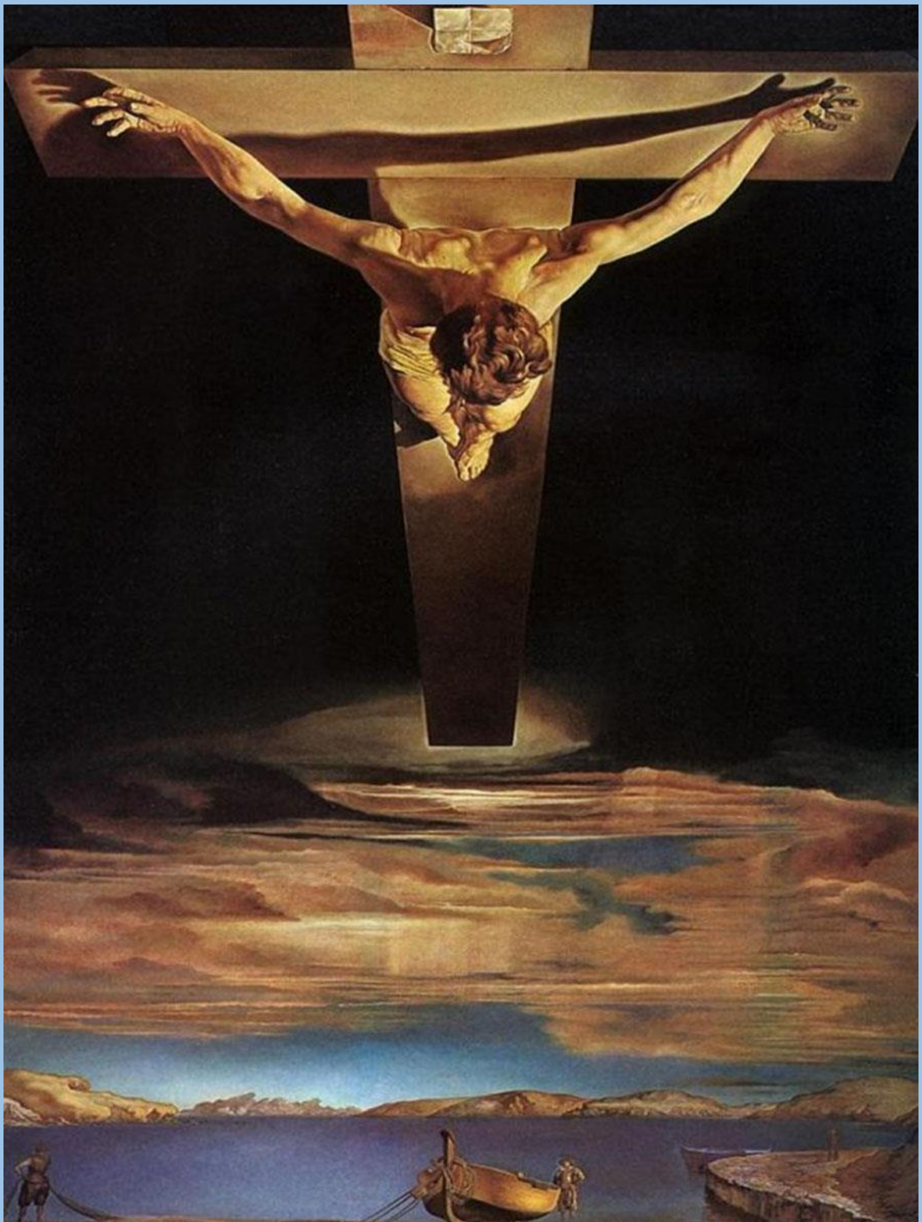
ديزيره سقال



سمفونيّة الكلمة

٢٠٢٠

ديزيره سقال

سمفونيّة الكلمة

٢٠٢٠

مدخل

– "آدم في اللغة العبرية معناها "الإنسان". آدم في هذه اللغة ليس اسم علم لفرد معين، بل هو اسم مشترك؛ وعلينا أن نترجمه كلما التقينا به في الكتاب المقدس... بكلمة "الإنسان"."

(نظرات حول الإنسان – روجيه غارودي)

– "الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس."

(يوحنا١: ٥/ ٧)

– "وَلكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا. وَأَمَّا الرُّوحِيُّ فَيَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ لاَيُحْكَمُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ."

(كورنثوس ١: ٢/ ١٤ – ١٥)

– "اعتبرت الفلسفات اليونانيّة – وإن بطرق مختلفة وبإدراك مختلف، كونَها تعتمد على العقل في إدراك الأمور– أنّ الكون بتنظيمه واستمراريّته وظواهره إنّما هو الكشف عن قوّة إلهيّة أَوجدَتْه وتُعنى به وتُديره. كما اعتبرت أنّ الكونَ، كونَهُ مادّةً، فاسد، أمّا الله فهو مُتعالٍ، أبديٌّ، مُتَسامٍ – مكتَفٍ بذاتِه... لذلك لا بدّ من وسيط هو اللوغوس."

(ما هو مفهوم "اللوغوس" عند الفلاسفة الوثنيين ومفهومه المسيحي عند الآباء المدافعين في القرن الثاني الميلادي – الأخ غريغوريوس)

– "أدرك علماء العهد القديم من اليهود، خاصة في القرن الخامس قبل الميلاد، أن لله كلمة في ذاته وهذا **الكلمة** هو، كلمة الله، الكائن في ذات الله، وأنه العامل والفاعل في الكون وخالقه ومدبره وفاديه وديانه، ومن ثم يستخدم الكتاب كلمة الله هنا بمعنى **الكلمة** التي تخرج من فم الله، ولكنها ليست ككلام الإنسان بل كلمة الله التي تعمل في الكون، وعندما يقول الله للشيء "**كن**" تعمل كلمته في الكون والمادة والطبيعة وتجعل الشيء موجوداً "يكون" وتعطي الحياة...."

(الابن الكلمة اللوغوس عبر تاريخ العقيدة – القمص عبد المسيح بسيط)

– "إنّ شواهد كثيرة تدلّ على أنّ كلّ العالم المسيحيّ كان (في القرن العاشر الميلادي) ملطّخًا بخرافات كثيرة وأضيف إليها آراء لا أساس لها ولا طائل تحتها ارتآها الكهنة لغاياتهم."

(تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة – يوحنا لورنس فان موسهيم)

– Lord, I am not worthy

Lord, I am not worthy
but speak the word only.

(أربعاء الرماد – ت. س. إليوت)

– Sill falls the rain

At the feet of the Starved Man hung upon the cross.
Christ that each day, each night, nails there, have mercy on us…

(Still falls the rain – Edith Sitwell)

– "ينبوعٌ يتفجر على ينبوع. فجرٌ يطلع على فجر. شعاع يغتسل في أنهار نور. وحده الصلصال يشقى والطين يبقى؛ ومِن النور وحده يُصنَع الإله..."

(عطشان يحنو على الينبوع – ربيعة أبي فاضل)

- "كما يسعنا أن نتكهّن كذلك بأنّ انتصار الإلحاد انتصارًا كاملًا وحاسمًا من شأنه أن يحرّر البشريّة من كلّ شعور بالواجب والالتزام تجاه أصلها ومنشئها وعلّتها الأولى. إنّ الإلحاد يرتبط بشكل وثيق مع ضرب من البراءة الثانية."

(أصل الأخلاق وفصلها – نيتشه)

- "الخطاب ليس الحياة. وزمنه ليس زمنكم. فيه لا تتصالحون مع الموت. ومن الممكن أن تكونوا قد قتلتم الله تحت ثقل كلّ ما قلتم، لكن لا يجب أن تعتقدوا بأنّكم ستصنعون بكل ما تقولون إنسانًا سيعمِّرُ أكثرَ منه."

(حفريات المعرفة – ميشال فوكو)

ـ ١ ـ

فِي البدْءِ كانَت **الكلمةُ** .

كانت فِي عَماءٍ تامٍّ، حيثُ لا كَوْنَ، ولا زمانَ ولا مكان. . .

كلُّ شيْءٍ كانَ مَحْوًا، أَوْ عَماءً صافيًا يستغرقُ فِي التّصوُّر، وتمتدُّ فيهِ **الكلمةُ** كاملةً، تامّةً، فوقَ الفكر، وفوقَ انتظامِ السَّمْعِ والبصر.

لا سَمعَ. . . لا بصَر. . .

لا حدودَ. . . لا كائنات. . .

"إنَّ كَوْنَ اللهِ بسيطًا مِن كلِّ وَجْهٍ يمكنُ بَيانُه مِن وجوهٍ كثيرةٍ: أوّلًا: ...لأنّ اللهَ إذا لم يكنْ مركَّبًا من أجزاء مِقْداريّةٍ لأنّهُ ليس بِجِسْمٍ ولا مِنْ صورةٍ ومادّة وليسَ فيهِ تَغايُر بينَ الطبيعةِ والشخصِ ولا بينَ الماهيّةِ والوجودِ وليسَ مركّبًا من جِنْسٍ وفِعْلٍ ولا مِنْ مَحلٍّ وَعَرضٍ، يتّضِحُ أنّه ليسَ مركّبًا بحالٍ... وثانيًا: لأنّ كلَّ مركّبٍ متَأخِّرٌ عن أجزائِهِ، ومتوقِّفٌ عليها، واللهُ هو الموجودُ الأوّلُ... وثالثًا: لأنّ لكلّ مركّبٍ علّةً... واللهُ لا يُعَلَّلُ بشيءٍ. ورابعًا: لأنّ كلَّ مركّب لا بدَّ أنْ تكونَ

كلُّ ما هو ليسَ هوَ، وكلُّ ما يمكن تخيُّله مَحْوٌ تامٌّ، إلا **الكلمةَ** – الذاتَ التي تَرى ولا تُرى، وتَسمعُ ولا تُسْمَعُ، وتَكْنَهُ ولا تُكْنَه. . . ليسَ لها اسمٌ، ولكنِّها تحمِلُ جميعَ الأسماء. ليست لها ذاتٌ، ولكنّها تحْملُ جميعَ الذواتِ. لمْ تَصِرْ، ولكنّها تحمل جَميعَ الصيرورات. . . كلُّ ما ليسَ فيها مُمكِنٌ، ولكنَّه مَحْضُ تَصَوُّرٍ، خارجَ الزمانِ والمكان – لا زمانَ. . . لا مكان. . . لا جِهاتِ. . . لا مدى. . . **الكلمةُ** هي الذات. **الكلمةُ** هي الحدوثُ، والوجودُ، والتبدُّلُ، والانبثاق. كُلُّ ما فيها مِنْها، ولكنَّهُ لَيسَ إيّاها،	فيهِ قوّةٌ وفِعلٌ... وهذا ليسَ في اللهِ. وخامسًا: لأنّ كلَّ مركَّبٍ شيءٌ لا يَصْدقُ على شيء من أجزائهِ، أمّا في الكلّ المختلف الأجزاءِ فَبَيِّنٌ." (القديس توما الأكويني، **الخلاصة الإلهية**)

وهيَ الذاتُ الصافيَةُ التي تَفيضُ منها جَميعُ الآلِهةِ، وكلُّ الصُّوَرِ، ومُنتَهى الكوْنِ والكائناتِ. . . ولا شيْءَ سِواها في طَبيعَةِ التصوُّرِ والممكِناتِ والحدوثِ والانوجاد. لا شَيْءَ سِواها فيها، بينَ احْتِمالِ الخَلْقِ، واحْتِمالِ الصُّدورِ. ولَيسَ بينَها وبَينَها سوى ذاتِها؛ وهي فِعْلُ الكَينونَةِ الصافي – الكينونةِ التي ترى كلَّ شيْءٍ، الكينونةِ التي تَجعَلُ كلَّ شيءٍ، وتأخذُ كلَّ شَيءٍ، الكينونة التي تَمسَحُ الاسمَ وترسُمُهُ، الكينونةِ التي تُسَمّي ولا تُسَمّى. . .	﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل/ ٤٠)

احتمالٌ هيَ، ولكنّها الممكنُ واللاممكنُ، الوجودُ والعدمُ، الصُّدورُ والتوقُّعُ . . . فيها يَغيبُ كلُّ ما يمكنُ أن يكون، وفيها يكونُ كلُّ ما يصيرُ ثُمَّ يغيبُ. وفيها يصيرُ الوجودُ ممكنًا، واللاوجودُ أيضًا. بينَها وبينَ ذاتِها لا شيْءَ سِواها، وبينَ ممكناتِنا وبينَها لا شيءَ سِواها، وبينَ إمكانِ حضورِنا وغيابِنا لا شيءَ سِواها . . . كلُّ ما فيها منها، ولكنَّهُ ليسَ إيّاها: حُضورٌ صافٍ على حضورٍ صافٍ. نورٌ على نورٍ، حيثُ لا نورَ ولا ظلامَ، حيثُ لا أرضَ ولا عَمْرَ، ولا جِهات. . . حضورٌ صافٍ على حضورٍ صافٍ. . . نورٌ صافٍ على نورٌ صافٍ. . .	﴿اللهُ نورُ السمواتِ والأرض...﴾ (النور/ ٣٥)

وَلَيسَ بينَ النورِ والصفاءِ تَصَوُّرٌ، ولا مدىً أو زَمانٌ –

ليسَ بينَ النورِ والصّفاءِ غيرُ النورِ والصفاءِ . . .

*****

ثُمَّ فاضَتْ ذاتُ ***الكلمةِ***، فكانَ الكونُ:

كانتِ السماءُ والأرضُ، والجهاتُ والزوايا،

والأجزاءُ والكُلِّيّاتُ، والغَمْرُ والصَّحراءُ . . .

كانت كلُّ المخلوقاتِ الّتي تدبُّ، وتسبَحُ، وتطير . . .

كانتِ الآناتُ والزمانُ،

والوقتُ في امتِدادِهِ وانحِسارِهِ، في سَيَلانِهِ وانقِضائِه.

"فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ... وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ... وَقَالَ اللهُ: لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ، وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ... وَقَالَ اللهُ: لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا: بَهَائِمَ، وَدَبَّابَاتٍ، وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا. وَكَانَ كَذلِكَ."

(تكوين: ١/ ١، ٢٠، ٢٤)

صارَ كلُّ شيءٍ خارجًا من ذاتِ ***الكلمةِ***، غارِقًا في ذاتِ ***الكلمةِ***:

صارَ كُلُّ شَيْءٍ مُسَمًّى، باسْمِهِ يُعْرَفُ، ويَكونُ، ويَغيبُ؛

وباسْمِهِ تَتَحَدَّدُ طبيعَةُ كَينونَتِهِ وحدودُها.

سُمِّيَ الكوْنُ كَوْنًا، والزّمانُ زَمانًا، والمكانُ مَكانًا.

سُمِّيَ الواحِدُ واحِدًا، والاثنانِ اثنين، والثلاثةُ ثلاثةً...

والسَّبْعَةُ الآناتُ تَتَكَرَّرُ في أوقاتٍ سَيّالَةٍ، تَنْحَسِرُ وتَعودُ،

حيثُ يَنْتَظِمُ المكانُ في حرَكَةٍ دقيقةٍ، لا شائبَةَ فيها.

"وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ."
(تكوين: ٢/ ٢)

*****

هذا هو الخَلْقُ:

فاضَتِ الذّاتُ الإلَهيَّةُ في مَرْحَلَةٍ أولى، لِتَنْبَجِسَ مِنْها الأَشياءُ، والنّباتُ، والحَيَوان.

كانَ العالَمُ – حَيِّزُ ما سَيَأْتي،

حَيِّزُ القادِمينَ الّذينَ سَيَمْلأونَهُ.

ـ ٢ ـ

ثُمَّ تَصَوَّرَتِ **الكلمةُ** فَيضَها في عقلٍ يَتَحَرَّكُ ويَصيرُ.

كانَ الفِرْدَوْسُ الحَيِّزَ الصافي لِيَنمو فيهِ هذا العقلُ، ويَتَعَرَّفَ إلى ذاتِهِ.

كانَتْ ثِمارُ المعرفةِ فيهِ وَعْيًا صافِيًا، بَعيدًا مِنْ مَقدِرَةِ العَقْلِ النامي،

وخُلودُ النورِ، مِنْ داخِلَ، مَحْجوبًا عَنِ العقْلِ الناشِئِ في المادَّةِ.

تَصَوَّرَتِ **الكلمةُ** فَيْضَها في عَقْلٍ يَتَحَرَّكُ ويصيرُ،

فكانَ **آدمُ**.

هذا هو الاسمُ الأوّلُ:

ثَمْرَةٌ من **الكلمةِ** تتعَلَّمُ بنَفْسِها، وتبحثُ عَنْ أَصلِ وَعْيِها النامي منْ نورِها الداخِلِيِّ المحجوبِ فيها.

"وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً. وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ. وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ."

(تكوين: ٢/ ٧ – ٩)

هذا هو الاسمُ الأوّلُ الذي كانَ وعْيُهُ كامِنًا فيه، ولكِنَّهُ لا يعرِفُ.

كانَ اكْتِمالُ ذاتِهِ فيهِ، ولكِنَّهُ مُحْتَجِبٌ عنْهُ في أعماقِهِ المعْتَكِرَةِ.

ولَم يعرِفْ

أنَّ قلقَ الوَعْيِ يَنبَثِقُ منْ داخِلِهِ،

وأنَّ سَطْحَ الوعْيِ تُغَلِّفُهُ طَبَقَةٌ منَ الظّلامِ.

هذا هو الاسمُ الأوَّلُ:

كانَ يعرِفُ كلَّ شيْءٍ في تواصُلٍ مَهيبٍ، قبْلَ أن نَسِيَ كلَّ شيْءٍ —

نسِيَ عُرْيَهُ الصافي، وتواصُلَهُ مع ***الكلمةِ***.

نسيَ الاسمَ المطلَقَ المتسامي عنِ اللفظِ وعَنِ الوعْيِ والإدراكِ.

نسيَ تَكامُلَ الولادَةِ،

"وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ."

(تكوين: ٢/ ٢٢ – ٢٣)

وانقسم:

غَرِقَ في قلَقِ الثّنائيَّةِ والازدِواجِ – ازْدَوَجَ.

كانَتْ حوّاءُ ذاتَهُ الثانيةَ – صدْعَهُ الذي شَقّ

فردوسَ الوحدةِ، ليسقطَ إلى ازدواجِ العالم.

ثمَّ السقوط – تجربة ***الكلمةِ*** الأولى في الوجود، بعدَ

أن آخَت ذاتُها ذاتَها الثانية:

ذاتان من كمال ونقصان، وسلب وإيجاب، ونور

وظلام . . . –

ذاتان في ذات واحدة، في احتمالٍ وتحقُّق.

انحجب الفردوسُ في تجربة الثنائيّة، وانقفل بابُ

الصفاء في صراعِ التناقضِ:

انفجرَ الوعيُ بعدَ أن خرجَ إلى النور.

هذه رحلة الإنسان بحثًا عن ذاته.

هذا هو الإنسان.

"وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا."

(تكوين: ٣/ ٢٢ – ٢٣)

هامَ **آدمُ** في العالم، بينَ المخاليقِ التي تأهَلُ قِشرتَهُ، هنا وهناكَ، منتشرةً على وجه البسيطة. تكاثرَ في ازدواجه، ودُعِيَ تكاثرُه أُمَمًا، وقبائلَ، وأسباطًا.

هامَ على وجهِهِ يبحثُ عن حقيقةِ ذاتِهِ — عن مصدرِها حيثُ يقبَعُ نورُ ***الكلمةِ***، ولكنّهُ ضاعَ بينَ خرائبِ المادّةِ، وأصداءِ الكلماتِ المتردّدةِ.

كانَ الصدى يملأُ العالمَ، ويحجبُ آثارَ الدربِ التي تقودُ إلى ***الكلمةِ*** الأولى، بكاملِ صفائِها.

كان الصدى سَرابًا يقودُ **آدمَ** في بَرِّيَةِ الضّياعِ، حيث تتناثرُ حقيقةُ ذاتِهِ، ويتبدّدُ اسمُهُ الأوّلُ كثرةً متكاثِرةً، في عَبَثٍ رهيبٍ.

لا شيءَ هنا سوى ذاتِه، وذاتُه أَقنعَةٌ تتكوّمُ طَبَقًا فوقَ طبَقٍ، وأعمارًا ضائِعَةً في بَحْثٍ لا يقودُ إلا إلى ظُلماتٍ: ظلمةٌ بعدَ ظلمةٍ تتحصّنُ في قناعِ يقينٍ، لا نورَ حقيقيًّا فيه، ولا انكشافَ – وَعيٌ مُتبَدِّدٌ في انحناءاتِ الجِهاتِ على مجهولٍ مستورٍ.

هامَ **آدمُ** في غبارِ العالمِ وقَفْرِه، في جَهْلٍ مُطبِقٍ، مُقَنَّعٍ بيقينٍ خدّاعٍ: من نارِ "سَدومَ"، إلى عواميدِ المِلْحِ البائسة؛ وَمن ذواتٍ تبتني لِنفْسِها صُروحًا ضاربةً في الصَّفاقَةِ، بعيدًا من حقيقةِ الداخلِ، ضائِعًا في نُكرانِ الكلمةِ الأولى وانحسارِ اليقين.

عَبَرَ **آدمُ** في أسمائِه، ومع كلِّ اسمٍ كانَ رائِيًا، ضائِعًا في ذاتِهِ البائِسَةِ، مَحجوبَ الداخِلِ، حَيثُ مُهَندِسُه يُقتَلُ كلَّ يومٍ، وينهَضُ من موتِه، لِيَعودَ فيَقْتُلُهُ الطمَعُ، والتعصُّبُ، والكِبرياء، مرّةً بعدَ مرّةٍ.

"فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتِ الأَرْضِ. وَنَظَرَتِ امْرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ."
(تكوين: ١٩/ ٢٤ – ٢٦)

قَتَلَةٌ ثلاثةٌ تطفو على حدودِ الزمن، وتُكرِّرُ جريمتَها الرَّهيبةَ يومًا بعدَ يومٍ، تَخالُ نفسَها قابضةً على النورِ، ولا تَقبضُ إلا على دُجُنَّةٍ وظلامٍ.

كانَ المهندسُ ضائعًا في داخِلِه، ووَحْدَهُ صاحِبُ الاسمِ السامي، وحدَهُ يجْمعُ ذاتَهُ في عوالِمِ الحَقِّ، والجَمالِ الصافي، والحكمةِ الأبديَّةِ.

كانَ المهندسُ القتيلُ المحجوبُ في داخِلِ **آدمَ** سِرَّهُ الأكبرَ، يَبحثُ عنْهُ في مجاهِلِ الكوْنِ والزمانِ، ولكنَّ مشعَلَهُ لا يقودُهُ إلا إلى ضَياعٍ.

عَبَرَ **آدمُ** في أسمائِهِ. وكانَ طوفانٌ يجرفُ معَهُ طَوْرَ الجَهْلِ الأوّلَ، وتُرَّهاتِ القَتَلَةِ الثلاثةِ.

أربعينَ يومًا وأربعينَ ليلةً، جرَفَ الماءُ المطهِّرُ عَفَنَ العالَمَ، ثمّ مئةً وخمسينَ، حتّى حطَّتِ سفينةُ الرحلَةِ

"وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ."

(تكوين: ٦/ ٥ – ٦)

"فَهَا أَنَا آتٍ بِطُوفَانِ الْمَاءِ عَلَى الأَرْضِ لأُهْلِكَ كُلَّ جَسَدٍ فِيهِ رُوحُ حَيَاةٍ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. كُلُّ مَا فِي الأَرْضِ يَمُوتُ."

(تكوين: ٦/ ١٧)

على قِمَّةِ الجبلِ، فانبثقَتْ منها بذورُ وَعْيٍ جديدٍ، وأَمَلٌ في انكشافِ الاسمِ الضائعِ و**الكلمةِ** المستورَةِ.

*****

بدأَ **آدمُ**، مجدَّدًا، يتعرَّفُ إلى ملامحِ ذاتِهِ، ويتلمَّسُ الطريقَ إليها، فاصطدمَ ببرجِ "بابلَ" الضاربِ في السَّماكِ، وضاعَ منْهُ معنى البُرجِ، وتبدَّدَ في العالمِ، مرَّةً أُخرى، ألسِنَةً مُبَلْبَلَةً، أعجزُ منْ أنْ تتلفَّظَ بالاسمِ الإلهيِّ العظيمِ.

"وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً... فَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَنْظُرَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ كَانَ بَنُو آدَمَ يَبْنُونَهُمَا... فَبَدَّدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، فَكَفُّوا عَنْ بُنْيَانِ الْمَدِينَةِ."
(تكوين: ١١/ ١، ٥، ٨)

ويَمَّمَ **آدمُ** شَطْرَ الجنوبِ، إلى مصرَ، حاملًا معَهُ فاجعَةَ الازدواجِ.

وكانَ أنْ توَسَّمَ هُناكَ معالِمَ الظُّلْمِ والتعصُّبِ في حاكِمٍ، ومعالِمَ الكبرياءِ والجشَعِ؛ فعادَت قتَلَةُ

"ثُمَّ قَامَ مَلِكٌ جَدِيدٌ عَلَى مِصْرَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ. فَقَالَ لِشَعْبِهِ: هُوَذَا بَنُو إِسْرَائِيلَ شَعْبٌ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنَّا... فَاسْتَعْبَدَ الْمِصْرِيُّونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

المهندسِ إلى الظهورِ، وأقامَت حاجزاً بينَ وَعيِ **الكلمةِ** الكامنِ الذي يَبحَثُ عنْهُ، وأَقنِعَةِ العالَمِ الذي يحجبُ البَصيرةَ. وفي مصرَ، انسحَبَتْ صفاقَةُ الوعيِ الصغيرِ على رَهافَةِ البصيرةِ، فاحتَجَبَ السرُّ الكامنُ مجدَّداً، ولم يصِلْ **آدَمُ** إلا إلى قشورِهِ في الخارجِ. هكذا ظلَّ **آدَمُ** عَبْدَ وَعْيِ بَصَرِهِ، وقد عَصَتْهُ البَصيرةُ. ظَلَّ يحاربُ الدُجُنَّةَ بالدُّجُنَّةِ، والعمى بالعَمَهِ. ظَلَّ وَحدَهُ، في فاجِعَةِ الثنائيّةِ، يُفتّشُ عنِ التئامٍ في عتَمَتِهِ الضائعِ. واصطَدَمَ بِجَبَرُوتِ الكبرياءِ، فتمسَّكَ بآثارِ **الكلمةِ** الضائعةِ تقودُهُ إلى خارجِ مصرَ، كثيراً،	بِعُنْفٍ، وَمَرَّرُوا حَيَاتَهُمْ بِعُبُودِيَّةٍ قَاسِيَةٍ فِي الطِّينِ وَاللِّبْنِ وَفِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْحَقْلِ. كُلِّ عَمَلِهِمِ الَّذِي عَمِلُوهُ بِوَاسِطَتِهِمْ عُنْفًا." (خروج: ١/ ٨ – ٩، ١٣ – ١٤)

مُتَعَدّدًا، وخَلْفَهُ العَنَتُ يطارِدُهُ، من أرضِ مصرَ، إلى خَلاءِ البرّيّةِ.

هكذا انشقَّ البحرُ أمامَهُ، ثمَّ ابتَلَعَ جيشَ الجَبْرؤوتِ. ابتلعَ البحرُ الكبرياءَ، والجشعَ، والتعصُّبَ، فسقطَتْ، مرّةً أخرى، قَتَلَةُ المهندِسِ العظيم.

وفي البرّيّةِ الواسعةِ، وجّهَ **آدمُ** الخطْوَ، مُصَمّمًا، نحوَ الأرضِ المنشودةِ، نحوَ بلادٍ أملَ أنْ يجدَ فيها التئامَه، ووحدتَه، ***وكلمتَه*** المفقودةَ.

في تلكَ البرّيّةِ، قادَتْه بصيرتُهُ إلى قمّةِ جبلٍ مقدّس، في أعماقه الدفينةِ، حيث تجلّى له الاسمُ، بتمامِ تألُّقه، فتعرّفَ إلى أناهُ، بكاملِ عظَمَتِها: أنا = أنا – في البدء كان، ويكونُ إلى الأبدِ.

"فَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَرَجَعَ الْبَحْرُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ إِلَى حَالِهِ الدَّائِمَةِ، وَالْمِصْرِيُّونَ هَارِبُونَ إِلَى لِقَائِهِ. فَدَفَعَ الرَّبُّ الْمِصْرِيِّينَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ. فَرَجَعَ الْمَاءُ وَغَطَّى مَرْكَبَاتِ وَفُرْسَانَ جَمِيعِ جَيْشِ فِرْعَوْنَ الَّذِي دَخَلَ وَرَاءَهُمْ فِي الْبَحْرِ. لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ وَلاَ وَاحِدٌ."

(خروج: ١٤/ ٢٧ – ٢٨)

"فَقَالَ مُوسَى للهِ: هَا أَنَا آتِي إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَقُولُ لَهُمْ: إِلهُ آبَائِكُمْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. فَإِذَا قَالُوا لِي: مَا اسْمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟ فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ. وَقَالَ: هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ."

سَرمَدٌ هوَ. كينونةُ **الكلمةِ** التي صدرَ منها كلُّ شيء. كينونةُ المطلَقِ التي في أعماقِ المهندِس – هندسةُ الوجودِ بكاملِ أدواتِهِ، وبكاملِ ذاتِهِ، في روعةِ اكتمالِها. كينونةُ ما هو مقدّسٌ: كأسُ الوجودِ التي يرتوي منها، وينمو، ويكون... *****	(خروج: ٣/ ١٣ – ١٤)
حملَ الاسمَ. وبهِ تغلَّبَ على نارِ الأفاعي. برّأَ الشعبَ من سمِّ النقصانِ. كلُّ مَن يقتربُ منهُ الاسمُ يُبرأُ.	فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ، فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا. فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَوَضَعَهَا عَلَى الرَّايَةِ، فَكَانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةٌ إِنْسَانًا وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ النُّحَاسِ يَحْيَا."

وانحفرَ بالاسمِ لوحا الوصايا – وثيقةُ الكلمةِ **لآدمَ**، وشريعةُ الآتي لبلوغِ أورشليمَ المقدّسَةِ.

قادَ عديدَهُ العابرَ إلى الأرض. لكنّ هذا العديدَ المتعدّدَ المتكاثرَ لم يُدرِكْ كُنْهَ قداسةِ ***الكلمة*** .

شادَ لها معبدًا في أرضِهِ. أقامَ شريعةً للحفاظِ على ***الكلمة***، فانتُقِضَتِ الشريعةُ مرّةً، ومرّةً، ومرّاتٍ. . .

ارتفعَ بَخورُ المعبدِ من عُمْقِ أعماقِهِ. لكنَّ بساطةَ الشريعَةِ ضاعَتْ تحتَ تعقيدِ البصَرِ، ولمْ تتبَعْ دَرْبَ البصيرةِ.

تحَنَّطَتِ الشريعَةُ في نَعْشِ التقليدِ، وتحوّلَ جوهرُها الصافي عَكَرًا ينشرُ في العَينينِ أطباقَ الظلامِ، وَعُتُوَّ المادَّةِ وصَفاقَتَها.

صارَ كلُّ شيْءٍ في معبدٍ خارجيٍّ، لا مِنْ روحٍ ونورٍ، بل من حَجَرٍ ومادّةٍ.

(عدد: ٢١/ ٨ – ٩)

"وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ، وَكُنْ هُنَاكَ، فَأُعْطِيَكَ لَوْحَيِ الْحِجَارَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْوَصِيَّةِ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتَعْلِيمِهِمْ."

(خروج: ٢٥/ ١٢)

"وَيْلٌ لَكُمْ! لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ، وَآبَاؤُكُمْ قَتَلُوهُمْ. إِذًا تَشْهَدُونَ وَتَرْضَوْنَ بِأَعْمَالِ آبَائِكُمْ، لأَنَّهُمْ هُمْ قَتَلُوهُمْ وَأَنْتُمْ تَبْنُونَ قُبُورَهُمْ."

(لوقا: ١١/ ٤٧ – ٤٨)

تَحَكَّمَ العقلُ بالبصيرةِ فعَمِهَتْ. انحرَفَتْ عَن براءتِها، فعادَ القَتَلةُ الثلاثةُ يَتحَكَّمونَ **بآدَمَ**، ويُبعِدونَهُ عن صَفاءِ المعبدِ الداخليّ.

صارَتِ الشريعةُ آلةً محنّطةً، تُطْبِقُ على قلبِ الإنسانِ فتَفْطِرُهُ، و على عينيهِ فتسمُلُهُما، فَتضيعُ منهُ الرؤيا، وتحتجبُ البصيرةُ.

صارتِ ***الكلمةُ***، في عينِ الإنسانِ، كلامًا لا يُثري، وقد ضاعَتْ منهُ قوّةُ الخَلْقِ.

قُتِلَ المهندِسُ مجدّدًا في المعبد، وكانَ قَتَلَتُهُ، هذهِ المرّةَ، يرتدونَ ثوبَ الشريعةِ – كَهَنَةً دُكَناءَ، غارقينَ في صَفاقةِ الأشياءِ. . .

ضَيَّعَ **آدَمُ** طريقَهُ إلى المعبدِ، حينَ تَحصَّنَ بالوعيِ وحدَهُ، وما عادَتْ محبّةُ القلبِ ترسمُ لهُ طريقَ الولوجِ، ولا عادَتْ طريقُ أغوارِهِ محفورةً بنورِ ***الكلمةِ***.

"وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالصَّدُّوقِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ. فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: ...يَا مُرَاؤُونَ! تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ السَّمَاءِ، وَأَمَّا عَلاَمَاتُ الأَزْمِنَةِ فَلاَ تَسْتَطِيعُونَ! جِيلٌ شِرِّيرٌ فَاسِقٌ يَلْتَمِسُ آيَةً، وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةَ يُونَانَ النَّبِيِّ. ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَمَضَى."

(متى: ١٦/ ١ – ٤)

"وَفِيمَا كَانَ جَمِيعُ الشَّعْبِ يَسْمَعُونَ قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: احْذَرُوا مِنَ الْكَتَبَةِ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ الْمَشْيَ بِالطَّيَالِسَةِ، وَيُحِبُّونَ التَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ، وَالْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ، وَالْمُتَّكَآتِ الأُولَى فِي الْوَلاَئِمِ؛ اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ، وَلِعِلَّةٍ يُطِيلُونَ الصَّلَوَاتِ. هؤُلاَءِ يَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ!."

(لوقا: ٢٠/ ٤٥ – ٤٧)

صارَ كلُّ شيءٍ مائعًا، مُظْلِمًا، يُظَنُّ كلامُهُ نورًا، وصفاقَتُهُ شفافيّةً.

كلُّ شيْءٍ صارَ ضبابًا.

تَحَلَّلَ الوقْتُ. تَحَلَّلَ المكانُ. تَحَلَّلتِ الذّواتُ ذواتٍ مُتَفرّقةً هُنا وهناكَ، ترسمُ العالَمَ بلا لَوْنٍ، ولا حَجْمٍ ولا معْنى.

هذا أوانُ السقوطِ.

هذا أوانُ البدايَةِ الجديدةِ.

ـ ٣ ـ

رأتِ ***الكلمةُ*** أنَّ الإنسانَ ضَيَّعَ طريقَهُ نَحوَ ذاتِهِ – نَحْوَها.

العقلُ يَفتَحُ الوعْيَ، ولكنَّهُ لا يَحيا بِلا بَصيرةٍ.

العقلُ آلةٌ عمياءُ عَيناها البصيرةُ.

العقلُ وحدَهُ يرْفَعُ المادّةَ، لكنّه يحوّلُ القانونَ إلى أداةٍ بلا قلبٍ؛ يرفَعُ الممكنَ إلى أقصى تُخمٍ لهُ، لكنّهُ ينسى كُلِّيَّةَ الإنسانِ، والإنسانُ كُلِّيَّةٌ متكاملةٌ، تُضَيِّعُها المتناقضاتُ.

رأتِ ***الكلمةُ*** أنَّ الإنسانَ ضَيَّعَ طريقَهُ نَحْوَ ذاتِهِ في انفجارِ المتناقضاتِ – ضَيَّعَ غايَتَهُ وهدَفَ الوجودِ الأسمى، فلمْ يعُدِ الرّجوعُ إلى الفردوسِ المفقودِ مُمْكِنًا، لأنَّ انحِجابَ ***الكلمةِ*** عنهُ يَجعَلُهُ فريسةً لِفخاخِ الطريقِ.

*****

"الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّنَا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا، وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا. إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمُ الأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمُ السَّمَاوِيَّاتِ؟"

(يوحنا: ٣/ ١١ – ١٢)

هكذا رأتِ **الكلمةُ** أن يكونَ خَلْقٌ ثانٍ داخلَ الخَلْقِ الأوَّلِ، فلا تَغْييبَ، بَعْدُ، ولا ميثاقَ لمختارٍ، ولا اختيارَ لشعبٍ دونَ أُمَمٍ.

رأتِ **الكلمةُ** أَن تفيضَ ذاتُها في ذاتِها،

أن يَصدُرَ عنها قِسْمٌ يُحرِّرُ للمَخاليقِ منها جوْهَرَ وجودِها، فتتباركُ بهذا الجوهرِ، وتردُّ للبصيرةِ دورَها على العقلِ.

رأتِ **الكلمة** أن تُنزِلَ سَرْمدِيَّتها في ذاتٍ تُشبه ذاتَ **آدم**، فيكونَ لها طَبْعُ تجربته، ومُطْلَقُ وعيِها الكامل، ويُبَثَّ جوهرُها بين الناسِ، لتُشرِقَ مرّةً أخرى بهِ.

رأت **الكلمة** أن تكونَ في أقانيمَ، كلُّ أقنومٍ مُسْتَقِلٌّ عن الآخرِ، ولكنَّهُ هو نفسُهُ.

"إنَّ الضياءَ يكشف لكَ وجودَ الابنِ دائمًا معَ الآب، مشارِكًا له في الأزليّةِ. والكلمة توضح لك عدم التألّم في الولادة. واسم الابن يؤذّن بالمشاركة في الجوهر. إلّا أنّ أشبهَ صدورٍ بذلكَ صدورُ الكلمة عن العقل."
(القديس توما الأكويني – الخلاصة اللاهوتية، تعريب: الخوري يوسف عوّاد)

كُلُّ أُقنومٍ يمثّلُ حضوراً للمطلقِ الكامل، لكنّه لا ينفصِلُ عن الآخر.

كلُّ أُقنومٍ هو ذاتُهُ، ولكِنَّهُ الآخَرُ أيضًا، في وحدةٍ تامّةٍ، إلَهيَّةٍ، لا توصَفُ.

هكَذا تَتَشَكّلُ وحْدَةُ المتناقِضاتِ، فلا تعودُ مُتَناقِضاتٍ بَعْدُ.

هكذا تتشكّلُ الوحدةُ الإلهيّةُ في قلبِ المعبدِ البشريِّ، فينكشفُ الصراعُ داخِلَ الذاتِ عَنْ وحدةٍ هي مَحَجَّةُ **آدمَ**، في طريقهِ نحوَ الاكتمالِ.

هكذا يبلغُ **آدمُ** فردوسَهُ المستعادَ، ويستعيدُ ***الكلمةَ***.

*****

"في وسعِنا أن نتكلَّمَ على كثرة النفوسِ بوجهٍ من الوجوه، غيرَ أَنَّ هذه الكثرة تُرَدُّ بدورها إلى الوحدة، لأنّ كلَّ أَنواعِ النفوسِ مستَمَدَّةٌ من النفسِ الكونيّةِ."
(أفلوطين – التساعيّة الرابعة في النفس، تعريب: فؤاد زكريا)

عادَتِ **الكلمةُ** إلى ذاتِها .

تَجَمَّعَتْ لِتَفيضَ في دَوْرَةٍ جديدةٍ مِن دَوْراتِ الخَلْقِ .

كانتِ **الكلمةُ** في اللهِ، وعِنْدَهُ، وهِيَ اللهُ. مِنْها يفيضُ كلُّ شَيْءٍ، وبها يكونُ، لأنَّ ذاتَها هي الوعيُ المطلَقُ لكلِّ ما هوَ موجودٌ، والتصوُّرُ المطلَقُ لكُلِّ ما يُمكِنُ أَنْ يُتَصَوَّرَ .

"فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ."
(يوحنا: ١/ ١)

جَوْهَرٌ هِيَ، ثُلاثِيُّ الوجوهِ: **مَحَبَّةٌ، وإِحسانٌ، وَأَمَلٌ**؛

وأَقانيمُ ثلاثةٌ: آبٌ، وابنٌ، وروحٌ قُدسٌ .

ثلاثِيَّةٌ مُتَعَدِّدَةُ المظهَرِ، واحِدَةُ الجوهَرِ . . .

جَوهَرٌ انشعَبَتْ منْهُ أَقانيمُ ثلاثةٌ، ولكِنَّها لا تَنفَصِلُ، ولا تَحولُ .

عادَت **الكلمة** إلى ذاتها لتُحيِيَ دوْرَةَ الخَلْقِ، في دوْرةٍ جديدةٍ .

أَرسَلَتْ **آدَمَ** في الدوْرَةِ الأولى، وتقمّصَته في الدوْرَةِ الثانية، لتُعيدَ أَلَقَ الإنسانِ، فيَتَمَجَّدُ باللهِ. كلُّ ما كانَ كانَ بِهِ، وكُلُّ ما هوَ كائِنٌ فيهِ، وكُلُّ ما سيَكونُ. كُلُّ شَيْءٍ يبدأُ الآنَ. مَسَحَ **آدَمَ** زيتُ الذاتِ الإلَهِيَّةِ، فصارَ مَسيحًا . . . *****	
أُرْسِلَ **آدَمُ** بَشَرًا فاضَتْ ذاتُهُ الإلَهِيَّةُ. فَيضُ **مَحَبَّةٍ** هوَ، يُعَلِّمُ **الإحسانَ**، لِيَحملَ **الأملَ** بالآتي.	"وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا." (يوحنا: ١/ ١٤)

هكذا يَنْكَتِبُ **التاريخُ**، لِتنكَشِفَ مَسيرَةُ **آدَمَ** نحْوَ فِرْدوسِهِ المستعادِ، فيَتَجَنَّبَ الفِخاخَ التي سقَطَ فيها، ويعودَ إلى سلوكِ الطريقِ.	
جاءتِ ***الكلمةُ*** ذاتًا إلهيّةً، حلَّتْ في جسَدٍ. مسَحَتْها الأُلوهَةُ لتَكْشُفَ جَوْهرَها، فنزلَتْ مِنْ علْياءَ لِتُصَوِّبَ مَنْطِقَ الميثاقِ، وتَكشفَ عنْ حَقيقتِهِ: ميثاقٌ للإنسانِ هو، مع الإنسانِ وبالإنسانِ، فلا أُمَمَ بَعْدُ، ولا أَطرافَ.	"عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ." (تيموتاوس١: ٣/ ١٦)
الكلُّ أُمّةٌ واحدةٌ، تَجمَعُها **المحبَّةُ**، ويُسَيِّرُها **الإحسانُ**، ويُنَمّيها **الأملُ**.	"أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أَيْضًا؟ بَلَى، لِلأُمَمِ أَيْضًا." (رومية: ٣/ ٢٩)
الكلُّ أُمّةٌ واحدةٌ، فلا أَسباطَ بل رُسُلٌ، ولا ملوكَ وأَنبياءَ مَمْسوحةً، بل مَسيحٌ؛ ولا شَعْبَ مختارًا، بل أُمّةٌ واحدةٌ، كبيرةٌ، هي مَسرَحُ الخَلْقِ كلِّه، ومستوعَبُ	

الذاتِ الإلَهيَّةِ، تتلاقى وتتَكامَلُ، لِتبلغَ الفردوسَ المستعادَ.

هكذا هو **التاريخُ** الجديدُ: دَعوةُ **الأُخُوَّةِ** في فَيْضِ **مَحَبَّةٍ**، تُعَلِّمُنا **الإحسانَ**، وتفتَح بابَ **الأَمَلِ**.

لَم تَعُدِ الحياةُ حياةً؛ صارَتْ مَعبَرًا إلى اكتمالٍ مطلَقٍ، يستعيدُ **آدَمُ** بهِ ذاتَه الجوهريّةَ، ويعودُ إلى سديمِ الخَلْقِ، في امتدادِ *الكلمة*.

هذا هو **التاريخ** الجديد: **يُحبُّ** الإنسانُ أخاهُ، لأنَّ هذا الأخَ هو ذاتُه أيضًا،؛ويمدُّ لهُ يدَ العَوْنِ، **ويُحسِنُ** إليهِ، لأنّه بهذا يُحْسِنُ إلى ذاتِه، ويَحْمِلُ **الأملَ** للإنسانيّةِ، في تَكامُلٍ أَخَويٍّ هو تَكامُلُ ذاتِ الربِّ في جِنسِ **آدمَ** كلِّه.

"والذي استحقَّ أن يشربَ من أقيانوسِ الحياةِ يستحقّ أن يملأَ كأسَه من جَدولِكَ الصغيرِ... لأنّ الحياةَ هي التي تعطي الحياة، في حين أنّك وأَنتَ الفخور بأنّك قد صدر العطاء منك لستَ بالحقيقةِ سوى شاهدٍ بسيط على عطائكَ."

(جبران – النبي)

هذا هو **التاريخُ** الجديد .

*****

نزَلَتِ **الكلمة** بين الناس، فتَجَلَّتْ أُفُقاً جديداً، يَنشرُ النورَ حيثُ صارَتْ عَيْنُ اللهِ مَخفِيّةً، تحتَ أطباقِ الدُّجُنَّةِ، في شَريعَةٍ طَمَرَتْها أَسمالُ التقاليدِ البالية، وحرَفَتها عن مُرادِها، وحَجَّرَتْها، فأُفرِغَتْ من مضمونِها، وحصرَتْها في أُمَّةٍ وميثاقٍ انعزَلا عن **التاريخ**، وبَثّا الضَّغينَةَ والحِقْدَ والتَّقَوْقُعَ.

صارَ معبدُ اللهِ "مَغارةً للّصوص"، وتحوّلَتِ الشريعةُ سوقَ تِجارةٍ، وصار معنى **الكلمةِ** الإلهيّةِ مفكّكاً تحتَ أنقاضِ تفسيرٍ لا بَصيرةَ فيه، بَثّتْهُ

"لِمَاذَا تَتَعَدَّوْنَ وَصِيَّةَ اللهِ بِسَبَب تَقْلِيدِكُمْ؟"
(متى: ١٥/ ٣)

"أُتْرُكُوهُمْ. هُمْ عُمْيَانٌ قَادَةُ عُمْيَانٍ. وَإِنْ كَانَ أَعْمَى يَقُودُ أَعْمَى يَسْقُطَانِ كِلاَهُمَا فِي حُفْرَةٍ."
(متى: ١٥/ ١٤)

"بَيْتِي بَيْتَ صَلاَةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الأُمَمِ؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ."
(مرقس: ١١/ ١٧)

كَهَنَةٌ تُضْمِرُ الحِقْدَ، والتحَجُّرَ، والكِبرياءَ، والتمسُّكَ بالنفوذِ، ولا تقبَلُ بِغَيْرِ كلامِها طريقًا للعثورِ على الكلمةِ.

نزَلَت **الكلمةُ** بينَ الناسِ، صوتًا مُنْطَلِقًا من البرِّيَّةِ، يَختَرِقُ حجابَ الظلامِ، لِيَكشفَ النورَ للبصيرةِ.

اعْتَمَدَتْ بالماءِ المُحيي، لِيَنْكَشِفَ اكتِمالُ الأَقانيمِ الثلاثةِ: مُثَلَّثُ كَمالٍ تَتَّصِفُ بهِ الذاتُ الإلَهِيَّةُ.

ثالوثٌ لا ينفَصِمُ: كلُّ طَرَفٍ فيهِ هو الآخَرُ، وهو تَجَلٍّ للآخرِ، في أُعْطِيَةِ السماءِ.

ثالوثٌ يماثِلُ **الكلمةَ** الإلهيّةَ، إذِ انكَشَفَت للمرّةِ الأولى: أنا = أنا – أنا الماضي والحاضرُ والآتي، في جَوْهَرِ الكَينونةِ الذي لا يحولُ، ولا يزول.

كلُّ شيءٍ بهِ، وكلُّ شيْءٍ فيه.

"وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضًا. وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرِرْتُ."
(لوقا: ٣/ ٢١ – ٢٢)

الذاتُ والكَينونَةُ والذاتُ المُماثِلَةُ لها:

اللهُ هو الذاتُ السرمديَّةُ التي يصدرُ عنْها كلُّ شيءٍ،

ويكونُ بها كلُّ شيْءٍ؛

والكلمةُ هي الكينونةُ. هي تَجَلّي الذاتِ السرمديَّةِ في الواقعِ والزمانِ، لتُعيدَهما إلى طريقِ النورِ – "كُنْ فَيَكونُ".

هي فِعْلُ الخَلْقِ في الكَوْنِ.

والروحُ القُدسُ هو استِمرارُ العلاقةِ المطلَقَةِ بينَ اللهِ ***والكلمةِ*** – فهو، في آنٍ، اللهُ ***وكلمتُهُ*** والاستمراريّةُ السرمديّةُ بينَهما.

كلُّ هذا كانَ مِنْ أَجْلِ يستعيدَ **آدمُ** مَعالِمَ الطريقِ إلى فردَوسِهِ المستعادِ.

*****

كانت **كرازةُ الكلمةِ** عودةً إلى الحالِ الأولى،

وكشفاً عن صفاءِ الذاتِ في عكَرِ العالمِ.

جاءتِ **الكلمةُ** لِتُعَمّدَ العالمَ **بالمحبّةِ**، فيكونَ من

خلالها **الأملُ** بالخلاصِ الحقِّ، ويعمَّ **الإحسانُ** جنسَ

آدمَ، وهو في طريقهِ إلى فِرْدَوْسِهِ المستعادِ، نحوَ

أورشليمَ الجديدةِ التي تنزلُ إليهِ من فَوْقُ، ليدخلَها

أصحابُ النِّعْمَةِ.

لم تعُد ثمّةَ أُممٌ. صارَ البشرُ جميعًا أمّةَ اللهِ.

انكسرَ انعزالُ الوعيِ المظلمِ، لأنّ البصيرةَ تفتحُ

نورَ القلبِ.

إمّسحَ الميثاقُ القديمُ في الجديد، لأنّ إكمالَ

الشريعةِ يعني إعادةَ صياغتِها، ليعود اللهُ، مُجَدّدًا،

"رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا."

(رؤيا: ٣١/ ٢)

منكشفًا في قلب الإنسان، فيتعرّف **آدمُ**، مرّةً أخرى، إلى معالم المعبدِ الداخليّ.

كانت كرازة ***الكلمةِ*** فتحًا جديدًا في **تاريخ آدمَ**، وفِعْلَ اعتمادٍ له، يكشف في أعماقه عن نعمةِ الإيمانِ، وبابًا يدخل منهُ إلى أرضِ الحقّ، بعيدًا عن نِفاقِ الذئاب.

كلُّ مَنِ انكشَفَتْ له هذهِ النعمة تَفَجَّرَتْ في أعماقِهِ السعادةُ الحقيقيّة.

كلُّ مَن سارَ خَلْفَ خُطى ***الكلمةِ*** انفتحَتْ لَهُ الطريقُ إلى معبدِهِ الداخليّ، وانكشَفَ لهُ نورُ العِلْمِ.

في هذا المعبدِ، يكمنُ اللهُ، وسرُّ الكمالِ. في كلٍّ منّا، في كلِّ قَلْبٍ، يقبعُ اللهُ.

"فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ. جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ وَلُصُوصٌ، وَلكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ. أَنَا هُوَ الْبَابُ. إِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ فَيَخْلُصُ وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى."

(يوحنا: ١٠/ ٧ – ٩)

"أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ."

(يوحنا: ٨/ ١٢)

طوبى لمن أنجزَ بناءَ هذا المعبدِ، ورفعَ بخورَه، وٱمّشحَ جبينُه بالزيتِ. طوبى لمن قرأتْ بصيرتُه الشريعةَ، فانبعثَتْ فيها روحُ المهندسِ القتيلِ، وقضى على قَتَلَتِهِ الثلاثةِ إلى الأبد . طوبى لمن اعتمد **بالكلمةِ**، وباركَهُ الروحُ القدسُ، فتحوّلَ ماءُ العمادِ ناراً ترفعه إلى فوقُ، كما بجانحَي ملاكٍ، ليستغرقَ في نِعْمَةِ اللهِ . كونوا كاملين، كما أنّ أباكم السماويَّ كاملٌ . كونوا كاملين . تلك هي الشريعةُ الجديدةُ، أداتُها الوحيدةُ هي **المحبّةُ**، وقوّتُها **الإحسانُ**، ومَداها **الأملُ**.	"أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ، وَلكِنْ فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ." (يوحنا: ١/ ٢٦) "فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ." (متى: ٥/ ٤٨)

تلك هي الشريعةُ الجديدة: لا حقدَ فيها، ولا ضَغينة، ولا انتقامَ، بل عَدالةٌ وإنصافٌ في الشَّرْطَيْنِ الإنسانيِّ والإلهيِّ.

"أَعْطُوا تُعْطَوْا، كَيْلاً جَيِّدًا مُلَبَّدًا مَهْزُوزًا فَائِضًا يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ. لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ." (لوقا: ٦/ ٣٧ – ٣٨)

تلك هي الشريعةُ الجديدة، نَمَتْ وتَفَتَّحَتْ فوقَ أنقاضِ الميثاقِ القديمِ، لتكتملَ الذاتُ ***بالكلمةِ***، ويستعيدَ **آدمُ** وعيَه الأوّليَّ، ويسيرَ قُدُمًا نحوَ معبدِهِ الداخليِّ.

*****

واجَهَ العالمُ نورَ ***الكلمةِ*** بالظلامِ – بقَتَلَةِ المهندسِ الثلاثةِ.

أَرَّخوا النورَ بِرِياءِ الظلامِ.

تَقَنَّعوا بالحقِّ وهو باطِلٌ، وارتدَوا شريعةَ الدينِ وهي رِياءٌ مُحَنَّطٌ.

"ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَالشُّيُوخِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ: كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ! إِذْ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ

حالفوا المجرمينَ الذي يُقاتلونَ، فانتصبوا أصنامًا جديدةً، في معبَدٍ جاءَ لتوحيدِ الخالقِ. نَصَّبوا الظلامَ إلَهًا جديدًا باسمِ الشريعةِ، واستَعملوا أدواتِ البِناءِ، ليقتلوا النورَ! إثنا عشرَ مُسارًّا، ثُمَّ سبعونَ، خرجوا ليحملوا شعاعَ ***الكلمةِ*** بينَ الناسِ، ويفتحوا عَينَي **آدمَ** على الحقِّ الذي خَسِرَهُ.	لَمْ تَمُدُّوا عَلَيَّ الأَيَادِيَ. وَلكِنَّ هذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ." (لوقا: ٢٢/ ٥٢ – ٥٣)
كانتِ ***الكلمةُ***، بينَ ضغينَةِ الكهّانِ وبَخورِ الرياءِ، تَفتَحُ رايةَ المحبّةِ، لترفعَ **آدمَ**، مَرّةً أخرى، إلى فوقُ، إلى الطبيعةِ التي أضاعَها، وإلى الاسمِ الصافي الذي يُريدُ أن يستعيدَ، لِيَنْعَمَ بلفظِهِ. أرادتِ ***الكلمةُ*** أن ترفعَ **آدمَ** ليعانقَ ذاتَ اللهِ، فهَبَّ ظلامُ الكهَنةِ عليها ريحًا زَعْزَعًا، في ثوبِ شريعَةٍ بائدةٍ، مُقنَّعَةٍ بالحقدِ، والموتِ، والانتقامِ.	"تَضِلُّونَ إِذْ لاَ تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلاَ قُوَّةَ اللهِ." (متى: ٢٢/ ٢٩)

صارتْ أُورْشَليمُ "بابلَ" ثانيةً، توشّحُها أَرْدِيَةُ العَجْرَفَةِ، وتُزيِّنُها أموالُ المُرابينَ، في قُدْسِ أَقْداسِ المعبَد.

أُورْشَليمُ التي أُريدَ لها أَنْ تكونَ عروسَ ***الكلمةِ***

صارَتْ قاتِلةَ الأَنبياءِ ومُرْسَلي ***الكلمةِ***.

أُورْشَليمُ التي أُريدَ لها أَنْ تعكسَ صورةَ المدينةِ السماويّةِ صارَتْ عاهِرَةً بينَ أيدي الكَهَنَةِ والمُرابينَ، وحُفّاظِ الشريعةِ المزعومين.

واجَهَتِ ***الكلمةُ*** غَطْرَسَةَ العُتاةِ بتَواضُعِ البسطاءِ المسارّينَ؛ وانكَشَفَتْ بها الهُوَّةُ السَحيقَةُ بينَ صورةِ **آدمَ** المنشودةِ، وحالِها البائسةِ الغارقةِ في الظلامِ.

ولَمْ يقبَلْ **آدمُ** أَنْ يرى.

تَصَلَّبَ قَلْبُه، وانْقفَلَتْ عَيْناهُ كَحالِ فِرعَوْن.

"يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا!"
(لوقا: ١٣/ ٣٤ – ٣٥)

"تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ."
(متى: ١١/ ٢٨ – ٢٩)

"وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ،

تَنَكّرَ **آدمُ** لِذاتِ ***الكلمةِ*** التي مُسِحَتْ بالأُلوهَةِ، وحُجِبَتْ بصيرتُها عنِ المُنْزَلاتِ الجديدةِ.

تَنَكّرَ **آدمُ** لِذاتِه التي يَبْحَثُ عَنْها، في ضَبابِ البَخورِ الكاذِبِ، ورُعْبِ الشّريعةِ المتحجّرَةِ.

أَقامَتِ ***الكلمةُ*** الموتى بإيمانِهِمْ، وفَتَحَتْ عُيونَ العُمْيِ، وأَنهَضَتِ الكُسَحاءَ، وغَفَرَتْ لِلْخَطَأَةِ الذين نَبَذَتْهُمْ شريعةُ الكَهَنَةِ، فاندفَقَ فيهِمِ الإيمانُ، وأَسْقَطَتْ عرشَ المالِ مِنْ عَلْياءِ مَلَكوتِهِ.

صارَ الفقيرُ والبائسُ سيّدَ العالمِ بالروحِ، مُتَعالِيًا على صَلَفِ الغَنِيّ، مُشِعًّا بنورِ ***الكلمةِ***.

"- مَلِكًا ونَبِيًّا نُريدُ. مَلِكًا ونَبِيًّا؛ فكيفَ تكونُ ***الكلمةُ*** مِنَ الوُضَعاءِ؟"

كُلُّ شيءٍ انقَلَبَ عليهِمْ، فارتدّوا على ***الكلمةِ*** بالنابِ والمخلَبِ.

وَلاَ أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ، وَلَيْسَتْ لَكُمْ كَلِمَتُهُ ثَابِتَةً فِيكُمْ، لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ هُوَ لَسْتُمْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ."

(يوحنا: ٥/ ٣٧ – ٣٨)

"إِنَّ مُرُورَ جَمَل مِنْ ثَقْب إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ."

(متى: ١٩/ ٢٤)

أَلْبَسوها ٱدّعاءاتِهِمْ وشَرِيعَتَهُم الباطِلَةَ، وحَكَموا عليها بالموتِ.

وَحينَ مَشَتِ **الكلمةُ** دَرْبَ العذابِ إلى الجلجُلَةِ، ورُفِعَتْ على الصليبِ فوقَ الجَبَلِ، انشَقَّ حِجابُ الهَيكَلِ، وأَظْلَمَ المعبَدُ، لِتَكْتَمِلَ الإرادةُ الإلَهِيَّةُ، وتَتَّجِهَ **الكلمةُ** نَحْوَ مَجْدِها المطلقِ.

كَذا كانَ منذُ البَدْءِ، وكذا ما هو وما سَيَكونُ.

لا شيءَ غيرُ الإرادةِ الإلهيّةِ في ثالوثٍ واحدٍ: ذاتٍ مطْلَقَةٍ تَفعلُ، وذاتٍ مطلقَةٍ تَنفَعِلُ، وعلاقَةٍ سرمَدِيَّةٍ، لا تنفصِمُ، بينَهما.

لا شيءَ غيرُ الذاتِ الإلهيّةِ، يعيشُ الكونُ وينمو في داخلِها، وتَعيشُ هيَ في معبدِ الإنسانِ الداخليِّ.

*****

"وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى جُمْجُمَةَ صَلَبُوهُ هُنَاكَ... وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ، فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ، وَانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ مِنْ وَسْطِهِ."

(لوقا: ٢٣/ ٣٣، ٤٤ – ٤٥)

وَكانَ أَنْ قَهَرَتِ **الكلمةُ** الموتَ بالموتِ، فانهزمَ الظلامُ أمامَها، في اليومِ الثالثِ.

معَها لَم يعُدِ الموتُ انتهاءً. صارَ مدخَلًا إلى حياةٍ جديدةٍ، **والكلمةُ** هيَ البابُ.

صارَ الموتُ عبورًا إلى أورشَليمَ السماويّةِ، تلكَ التي تعودُ إلى العالمِ لترفعَ الظلامَ عنهُ، وتكونَ عروسَ المسيحِ.

سقَطَ الموتُ أمامَ الحياةِ. سقطَ قناعُ الظلامِ أمامَ حقيقةِ النورِ، وانكشَفَتْ مجدّدًا عظَمَةُ **الكلمةِ**.

عِنْدَها أُرْسِلَ الاثنا عشَرَ إلى العالمِ، رقْمًا كاملًا، يحمِلُ معَهُ كمالَ الذاتِ الإلهيّةِ، ليبثَّهُ في العالمِ، بقوّةِ الروحِ القدسِ؛ بهذا تنضَمُّ الأُمَمُ إلى حلَقَةِ المختارينَ،

"لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ؟ لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لكِنَّهُ قَامَ!"
(لوقا: ٢٤/ ٥ – ٦)

"فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ.

فلا أُمَمَ بَعْدُ، ولا شَعْبَ ميثاقٍ، بل أُمّةٌ واحِدَةٌ تشهَدُ **للكلمةِ**، في الزوايا كلِّها، وعَهْدٌ جَديدٌ يَدْخُلُ إليه آدَمُ، في كلِّ مكانٍ، ببراءةِ الأطفالِ، كالحملِ بين غاباتِ الذئابِ.

آدَمُ، آدَمُ،

هذا هو الصراطُ المستقيمُ نحوَ الفردوسِ المستَعادِ،

هذه هيَ الطريقُ والبابُ.

آدَمُ، آدَمُ،

أَمامَكَ الدَّرَجُ المُتَعَرِّجُ، فاصْعَدْ، لِأَنَّ قُدْسَ الأَقْداسِ في معبَدِ **الكلمةِ** مفتوحٌ لكَ الآنَ، وقَبوكَ المقدَّسَ الداخِلِيَّ يَشِعُّ فيهِ الاسمُ الضائع.

آدَمُ، آدَمُ،

هذا مَعْبَدُكَ الجديدُ الآنَ، لا مِنْ حَجَرٍ ومادَّةٍ، بل مِنْ روحٍ ونورٍ.

وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ."

(متى: ٢٨/ ١٩ — ٢٠)

"وَلاَ يَقُولُونَ: هُوَذَا ههُنَا، أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! لأَنْ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ."

(لوقا: ١٧/ ٢١)

لا تُرْفَعُ مَعابِدُ مِنْ حَجَرٍ بَعْدُ. صارَ المعبَدُ الإلَهيُّ بِلا مادَّةٍ، مِنْ ضِياءِ الروحِ التي تُشرِقُ، فِبِها تَتَجَدَّدُ الطبيعةُ، وبها تتجدَّدُ ذاتُكَ كُلُّها.

طوبى للّذينَ آمَنوا ***بالكلمةِ***، ومَشَوا خَلْفَ نورِها، ورأَوْها.

"طوبى للّذينَ آمَنوا ولَمْ يَرَوا."

"لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا." (يوحنا: ٢٠/ ٢٩)

طوبى لِمَنْ أَكَلَ خُبْزَ الحياةِ، لكَي يَحيا إلى الأبدِ، ويَنكَشِفَ لَهُ نورُ الحياةِ الحقِّ والقيامَةِ.

"أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ... أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَ إِلَى الأَبَدِ." (يوحنا: ٦/ ٤٨، ٥١)

*****

تَفَرَّقَ الرُّسُلُ بينَ الناسِ، يحملونَ رسالةَ ***الكلمة***، ويفتحونَ بابَ الميثاقِ الجديدِ على كلِّ أُمَّةٍ وكُلِّ جَماعَةٍ، في أنحاءِ المعْمورِ.

"وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا

لَمْ يَكُنْ **آدَمُ**، فِي عُتُوِّهِ وتَعَنُّتِه، غَيْرَ فارسٍ مَهْزومٍ، لا يَعرِفُ أَنْ يَتَخَلّى عَنِ الظّلامِ، مُتَقَهْقِرًا فِي الطريقِ، مُبْتَعِدًا عَنْ دَرْبِ الفردوسِ المستَعادِ.

ولَكِنَّ شَيْئًا، فِي هذا العالِمِ، الصَّلِفِ قَدْ تَحَوَّلَ؛ فَتَسَرَّبَتْ شُعاعاتُ النورِ إلى شُقوقِ العالَمِ، بِدِماءِ الرُّسُلِ الذينَ يَحْمِلونَ الرسالةَ، على أَمَلِ أَنْ يكونَ هذا إيذانًا بابتداءِ عالَمٍ جديدٍ، أَكْثَرَ رُؤْيَةً للنورِ.

انتَشَرَ ناموسُ ***الكلمةِ*** المتجَدِّدُ بـ "عَهْدٍ جَديدٍ" لِقيامَةِ الإنسانِ مِن مَوتِه، أُدْخِلَ مِنْهُ **آدمُ**، أَنّى كانَ فِي العالَمِ، وإِلى أَيِّ نَسْلٍ انتَمى، خارِجَ الأَسْباطِ.

تَجَدَّدَتِ الشَريعةُ وتَأَلَّقَتْ.

تَصَحَّحَ مَعنى العهدِ واتَّضَحَ؛ وكانَتِ ***الكلمةُ*** المتجسّدةُ كَفّارَةً عنْ ذنوبِ **آدَمَ**، ليبدأَ تاريخًا جديدًا، برُؤْيَةٍ أَصفى، وبصيرةٍ أَكثَرَ تَفَتُّحًا.

جالِسِينَ، وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا."

(أعمال: ٢/ ١ – ٤)

"مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ، لِمِيرَاثٍ لاَ يَفْنَى وَلاَ يَتَدَنَّسُ وَلاَ يَضْمَحِلُّ، مَحْفُوظٌ فِي السَّمَاوَاتِ لأَجْلِكُمْ، أَنْتُمُ الَّذِينَ بِقُوَّةِ اللهِ مَحْرُوسُونَ، بِإِيمَانٍ، لِخَلاَصٍ مُسْتَعَدٍّ أَنْ يُعْلَنَ فِي الزَّمَانِ الأَخِيرِ."

(بطرس ١: ١/ ٣ – ٥)

هنا، وهناكَ... في جِهاتِ الأَرضِ الأربعِ، تَوَزّعَ حامِلو الرسالةِ، فَكَتَبوها عالِيًا بدِمائِهِمْ، وَشَقّتْ أَحْرُفُ الميثاقِ الجديدِ أَنحاءَ المعْمورةِ، وانتشَرَتْ بيْنَ جَميعِ الأَعراقِ والأُمَم.

وَكانَتْ دَوْرَةٌ جَديدَةٌ في الأَرضِ، تَنبِضُ فيها صَيرورةُ **الكلمةِ**.

ـ ٤ ـ

حاربَتِ **الكلمةُ** الظلامَ بقوّةٍ في أرجاءِ المعمورةِ؛ لَكِنَّ **آدمَ** واجَهَها بثُنائيّاتِهِ الجَهْمَةِ، يَركَبُ الوَحشَ الذي يأمرُ الدُّجُنَّةَ، في مَملكَةٍ عاتيَةٍ، يقودُها قَتَلَةُ المهندسِ الثلاثةُ.

واجَهَتْهُمُ **الكَلِمَةُ** بالنورِ والمحبّةِ، فارتدّوا عليها بالنابِ والمخلَبِ.

وفي امتدادِ فَظاعاتِ "نَيرونَ"، إلى نارِ "روما" التي الْتَهَمَتِ الأبرياءَ، انكشفَ الوحشُ الذي يَبتَلِعُ النورَ، ويجعَلُ أرضَ القلبِ صَحراءَ يابسةً، لا خيرَ فيها، ولا ماءَ...

ومَعَ هذا، سَقَطَتْ "روما" بقوّةِ المحبّةِ، فاندحَرَتْ جيوشُ الوحشِ، وارتَدّتْ إلى ميثاقِ **الكلمةِ**، وقَد

"ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَى رَمْلِ الْبَحْرِ، فَرَأَيْتُ وَحْشًا طَالِعًا مِنَ الْبَحْرِ لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشَرَةُ قُرُونٍ، وَعَلَى قُرُونِهِ عَشَرَةُ تِيجَانٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِ اسْمُ تَجْدِيفٍ... وَأَعْطَاهُ التِّنِّينُ قُدْرَتَهُ وَعَرْشَهُ وَسُلْطَانًا عَظِيمًا... وَتَعَجَّبَتْ كُلُّ الأَرْضِ وَرَاءَ الْوَحْشِ، وَسَجَدُوا لِلتِّنِّينِ الَّذِي أَعْطَى السُّلْطَانَ لِلْوَحْشِ، وَسَجَدُوا... فَفَتَحَ فَمَهُ بِالتَّجْدِيفِ عَلَى اللهِ... وَعَلَى السَّاكِنِينَ فِي السَّمَاءِ. وَأُعْطِيَ أَنْ يَصْنَعَ حَرْبًا مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَيَغْلِبَهُمْ، وَأُعْطِيَ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَأُمَّةٍ."

(رؤيا: ١٣/ ١ – ٤، ٦ – ٧)

راحَتْ تتخلّى عَنْ عُتُوِّها، وتَتَشقَّقُ صخورُ ضَغينَتِها، تَحْتَ إزْميلِ الأمَلِ. ضَرْبَةً بعدَ ضَرْبةٍ، سقَطَتْ تُرَّهاتُ الآلِهَةِ، واجْتَمَعَتْ كُلُّها في إلَهٍ واحِدٍ، يَبْذرُ الوَعيَ الجديدَ، تَدْريجيًّا، في كلِّ مكانٍ. كَتَبَتْ دِماءُ الأَبرارِ مَلحمةَ العالَمِ الجديدِ، يسقطُ فيه ويَتَحَطَّمُ "جوبيتيرُ"، و"مارسُ"، و"فينوسُ"، و"مينيرفا"... لَمْ يبقَ إلا صوتُ الميثاقِ الجديدِ هادِرًا، مُدَوِّيًا، بلسانِ ***كلمةٍ*** تجسَّدَتْ في لَحْمٍ ودَمٍ، وقدَّمَتْ لَحْمَها ودَمَها كَفّارةً عن الإنسانِ، وبَثَّتْ مَحبَّتَها على صليبِ الأجيالِ. الصوتُ الصارِخُ في البرِّيّةِ، والممسوحُ الفادي، صارا صوتًا مُدَوِّيًا في أنحاءِ العالَمِ.	"في الوقتِ الذي اختاره ابنُ اللهِ لولادتِهِ بينَ الناسِ، كانتْ ديانةُ الرومانيّينَ، كأسلحتِهِمْ، غالبةً على قسم عظيمٍ من العالَمِ." (يوحنا لورنس، تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة)

الكلمةُ ترسمُ الزمانَ: كلَّ ما كانَ وما سوفَ يكونُ.

الكلمةُ ترسمُ وجهَ العالمِ الجديدَ، لكي يعودَ **آدمُ** إلى طريقِ الفردوسِ المستعاد.

*****

وقامَت مؤسَّسَةٌ باسمِ ***الكلمةِ***، تَبثُّ في كلِّ مكانٍ رغبتَها الجديدةَ.

في أنحاءِ المعمورةِ السبعةِ، كانَت هذه المؤسَّسَةُ تنقلُ تجربةَ الابنِ الحبيبِ، وميثاقَهُ الجديدَ، لِيَشْملَ جميعَ الناسِ.

وفي أنحاءِ العالمِ، راحتِ المؤسَّسَةُ تَنتَظِمُ يومًا بعدَ يومٍ، وتُنظِّمُ قُسوسًا، ورهبانًا، وأشخاصًا بررَةً، تعملُ

في سبيلِ مجدِ ***الكلمةِ***، تُنَظِّمُ المؤمنينَ، ليصيروا، معًا، جيشَ السلامِ في العالمِ، ومَعبدَ اللهِ على الأرضِ.

مِن أَفَسُس إلى سميرنَةَ، ومِن برْغامُسَ إلى ثِياتِرَةَ وساردِيسَ، ومن فيلادلفِيَةَ إلى لَدوكِيَّةَ، وَزَّعَتِ المؤسَّسَةُ شهادةَ ***الكلمةِ***، وكانتِ **الكنيسةُ مجموعَ المؤمنين**.

كانَت مهمّةُ المؤسَّسَةِ أن تكتبَ ما رأى رُسُلُ ***الكلمةِ***، وتنشرَ روحَها في كلِّ مكانٍ، من أجلِ أَنْ يمجّدَها **آدمُ**، ويُسَدّدَ الخطى نحو المحجّةِ، يقودُهُ إليها شَيْخُ الحياةِ ورسولُها، حاملاً سبعةَ كواكبَ، وفي فَمِهِ سيفُهُ المسلولُ، وعلى وجهِهِ الشمسُ في أعظمِ شروقٍ لها، هوَ الحَيُّ الأبديُّ، سَيّدُ الموتِ والحياةِ.

"أُكْتُبْ فِي كِتَابٍ وَأَرْسِلْ إِلَى السَّبْعِ الْكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسِيَّا: إِلَى أَفَسُسَ، وَإِلَى سِمِيرْنَا، وَإِلَى بَرْغَامُسَ، وَإِلَى ثَيَاتِيرَا، وَإِلَى سَارْدِسَ، وَإِلَى فِيلاَدَلْفِيَا، وَإِلَى لاَوُدِكِيَّةَ"

(رؤيا: ١/ ١١)

"وَمَعَهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى سَبْعَةُ كَوَاكِبَ، وَسَيْفٌ مَاضٍ ذُو حَدَّيْنِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ، وَوَجْهُهُ كَالشَّمْسِ وَهِيَ تُضِيءُ فِي قُوَّتِهَا."

(رؤيا: ١/ ١٦)

لَيسَ قَبلَهُ شيءٌ، ولا بَعدَهُ، تُرَصِّعُ حضورَهُ الملائكَةُ، ويَبرقُ من حولِهِ ذهَبُ البَصيرةِ الرائعُ.

أَبيضَ كانَ ثوبُ المؤسَّسَةِ، وأبيضَ كانَ ثوبُ المؤمنينَ: شَهدوا للحقِّ، فَنَما الحقُّ بهِمْ. كتبوا ميثاقَهُ بدِمائهِمْ، فضاءَتْ فوقَ رؤوسِهِمْ أكاليلُ الغارِ والزيتون: كانوا جميعُهم المهندسَ العظيمَ الذي انتصرَ على قتَلتِهِ.

أرادَتِ المؤسَّسَةُ أَنْ تفتحَ بابَ السماءِ للمؤمنينَ، وتهزَّ عروشَ الباطلِ، وتعيدَ كلَّ يومٍ أصداءَ الميثاقِ إلى آذانِ آدمَ.

أرادَتِ المؤسَّسَةُ أَنْ ترفعَ عرشَ ***الكلمةِ*** الذي فوقُ في أنحاءَ العالَمِ، وتبثَّ روحَها في كلِّ مكانٍ.

كانَ المؤمنونَ، في المرحلةِ الأولى، بِيضًا، يشهدونَ للميثاقِ الجديدِ، مُتَخَلّينَ عنْ كلِّ شيْءٍ، من أجْلِ أَنْ

"لقد علِمَ المسيحيّونَ الأوائلُ أنَّ مثلَ ذلك التحوّل الكليّ... لا يمكن تحقيقة بوساطة القوة

يَنْفَصِلوا عنِ انشدادِ المادّةِ، ويسيروا خلفَ الروحِ، في دَرْبِ الخلاصِ.

وكانَ صَلَفُ مَنْ تَحَجّروا في ظلّ الشريعةِ القديمةِ يدفَعُهم إلى محاربةِ المؤمنينَ.

في هؤلاءِ، تجسّدَ، مجدّدًا، قَتَلَةُ المهندسِ الثلاثةُ، وتواصَلَ تَجَسُّدُهُمْ في سِواهم، محاوِلينَ أَنْ يخنقوا صوتَ ***الكلمةِ***.

*****

انطلَقَت المؤسَّسَةُ من أورشليم. وكانت مؤسَّسُتُها عبارةً عن مؤمنينَ، حملوا بشارةَ ***الكلمةِ*** إلى كلِّ مكانٍ: مؤسَّسَةٍ بيضاءَ، متحرّكةٍ، توجَّهَت إلى أقطارِ المعمورةِ، لِتَزْرَعَ فيها نورَ ***الكلمةِ***،

البشريّة مطلقًا. فبإدراكهم لهذه الحقيقة... وبإيمانهم غير المتناهي بالله... صاروا يتحلّون ببصيرة روحيّة عميقة..."

(إيبرهارد آرنولد، شهادة الكنيسة الأولى)

"الكنيسة مؤسَّسة إلهيّة آتية من فوق، ومتوجّهة إلى فوق، ورسالتها أن ترفع العالم معها إلى حيث كان..."

(المطران سابا إسبر، في سبيل كنيسة حية)

وتكتبَها بضميرِها، وبَصيرتِها، ودَمِها، وعَزمِها الصادق.

لكنَّ المؤسَّسَةَ اليافعةَ ما لبثَتْ أَنْ تَحوَّلَتْ إلى مؤسَّساتٍ تتحاربُ وتتصارعُ، وتنسبُ كلٌّ منها الحقَّ إلى نفسِها، والضلالَ إلى سِواها؛ فاختَلَطَ، مرّةً أخرى، النورُ بالظلامِ، وجَنَحَ جَوهَرُ ***الكلمةِ***، لِيَصيرَ شِيَعًا متناحِرَةً، تطفو على الجِهاتِ.

هكذا، عادَت خطى **آدمَ** إلى الانحرافِ، وابتعدَ، شيئًا فشيئًا، صفاءُ الميثاقِ وجوهرُ البشارةِ عن طبيعتهما الصافيةِ البسيطةِ، ليصيرا عقلًا ينأى، تدريجيًّا، عن نورِ البَصيرةِ.

صارتِ المؤسَّسَةُ مؤسَّساتٍ كبيرةً وصغيرةً، تتناحرُ، وتنسبُ كلٌّ واحدةٍ منها إلى نفسِها نورَ الحقيقةِ، راميةً سِواها بالظلامِ.

"لعنة التمثيل المتبادَل غير الصحيح للإيمان المسيحيّ والخالي من المحبّة... حوَّلَتْ

عادَ صراعُ الثنائيَّةِ ينفجرُ في ذاتِ **آدمَ**.

عادَتِ الثنائيّاتُ تتآكَلُهُ، لِيَهْتَزَّ فيهِ معبدُهُ الداخِليُّ، ويَنْحَجِبَ عَنْهُ، في عُتُوِّ المادّةِ، وعَمَهِ العَقْلِ.

كُلَّما شَعَرَ **آدمُ** بالكَسْبِ، عادَ إلى الضَّيَاعِ.

كُلَّما امْتَلَكَ أكثَرَ، عادَ إلى الضَّيَاعِ.

كُلَّما أَحَسَّ بالقوّةِ، تسلَّطَت ذاتُهُ على ما حولَهُ، وغابَتِ العدالةُ، وعادَ إلى الضَّيَاعِ.

كُلَّما أدرَكَ تفوُّقَ ذاتِهِ على سِواهُ، تضخَّمَتْ فيهِ هذه الذاتُ، لتبتلعَ سِواها . . .

تضَعْضَعَتِ آفاقُ ***الكلمة*** في أعماقِهِ، ونسيَ أَنَّ عملَه يقضي بنَشرِها، فاستبَدَّ بِهِ وَهْمُ الكبرياءِ، وشدَّهُ الطمَعُ إلى استدراجِ النفوذِ، وجرَّهُ التعصُّبُ لنفسِهِ إلى تبديدِ كلِّ ما اكتَسَبَ.

مقصَدَ المسيحِ لتوحيدِ الناسِ في المحبَّةِ إلى ظلمٍ متعصِّبٍ، وكراهيةٍ، وانقسامات."

(إيبرهارد آرنولد، شهادة الكنيسة الأولى)

ظَلَّتْ قوّةُ المادّةِ فيهِ طاغيةً على طبيعتِهِ الخالدةِ، وظلّتْ تشدُّهُ إلى أسفلَ – إلى الطَّبْعِ الإنسانيِّ، فتُبْعِدُهُ عَنِ اكتِشافِ الألُوهَةِ.

ظَلّتْ شَهَوتُه للتسلُّطِ تقبضُ على عُنُقِه، فتَتعامى عن الحرّيّةِ التي تُضيءُ الكرامَةَ، والإحسانِ الذي يرفَعُ الإنصافَ، والأملِ الذي يحملُهُ الخلاصُ والتفتُّحُ.

مرّةً بعدَ مرّةٍ، أثبتَ **آدمُ** أنّ التحوُّلَ منَ الروحِ الصافيَةِ الحرّةِ إلى المؤسَّسَةِ المنظّمَةِ يُطلِقُ فيهِ شهوةَ السُّلطَةِ، فتنحسرُ تلكَ الروحُ، لِتَطغى صَفاقَةُ المادّةِ.

آنًا بَعْدَ آنٍ، أثبتَتِ المؤسَّسَةُ أنَّ ذاتَها وأناها يَطغَيانِ على كلِّ ذاتٍ أخرى، وأنّ مسيرةَ الروحِ الصافيَةِ التي دعَتْ، لَها ورَفَعَتْ لِواءَها، لمْ يبقَ منها سوى رَذاذٍ، يُطِلُّ خَجولاً، ثمَّ يَضمَحِلُّ.

هكذا اصطدمَ **آدمُ**، في مؤسَّسَتِهِ، بِأَنواتٍ أُخرى، نابعةً من ثُنائيّاتِهِ، ومن حركةِ عقلِهِ. وراحَتْ كلُّ ثنائيّةٍ تأكلُ الأُخرى.

كُلُّ تآكُلٍ في مسائلِ الروحِ كانَ يتدخَّلُ العقلِ، وسيطرَتِهِ على البَصيرةِ، مُمْتَطِيًا ثلاثةَ جِيادٍ: الكبرياءِ، والتعصُّبِ، والطمعِ.

تحَوَّلَ **آدمُ**، في مؤسَّستِهِ، إلى الصليبِ؛ فقاتَلَ تحْتَ لِوائِهِ، في غَمْرَةِ تناقضاتِهِ، وتحَوَّلَ في تناقضاتٍ إُخرى إلى الهِلالِ، فتآكَلَ، وابتعَدَ عنِ الطريقِ، لأنَّ الأحصنةَ الثلاثةَ كانتْ تجرُّهُ إلى الهاويةِ.

وآنًا بعدَ آنٍ، صارَتِ الروحُ شِعارًا فارغًا، لمؤسَّساتٍ أُفرِغَتْ مِنْ مَعناها، وصارتِ ***الكلمةُ*** فيها رايةً ممزَّقةً، تقنَّعَتْ بالسيوفِ والدروعِ، وحمَلَتْ نارَ المَحارِقِ، تَرْمي بها العقلَ النَّيِّرَ، وتَفْتُكُ بالباحثينَ عنِ الحقيقةِ من

"على مدى ستة قرون، واجه عشرات الآلاف من المنشقّين عمليات قتل عنيفة، وتمّ اغتصاب ثرواتهم، وتركت عائلاتهم ترزح تحت الفقر، بسبب أنهم تجرّأوا على التفكير خارج الصندوق الكنسيّ."

خارجِها، ويحترقُ اللحمُ البشريُّ فوقَ نيرانِها، باسمِ الشريعةِ والعدالةِ. وفي حينِ أنَّ **الكلمةَ** ذاتٌ واحدةٌ، كلِّيّةٌ، لا تنفصِمُ، في كياناتٍ مُتعدّدةٍ، تبحَثُ عَنِ التئامٍ، وتتكامَلُ في تناغُمِها وتفتُّحِها، راحَتِ المؤسَّسَاتُ تُقنّعُها بألفِ قِناعٍ، فحَجَبَتْ ألَقَها، وصارَتْ، معَها، آلًا في بَلْقَعِ الضَّياعِ، وصدًى يتبَدَّدُ في ثُنائيّاتِ **آدَمَ**. لا شَيْءَ سِوى دُجُنَّةِ الضَّياعِ، تَنفتحُ على دَرْبِ المؤسَّسَاتِ المفكَّكَةِ. لا شَيْءَ سِوى ضَياعِ الذاتِ من عَيْنَي **آدَمَ**، وتصَدُّعِ حجارَةِ المعبدِ في داخِلِه، وسقوطِ المهندسِ العظيمِ أمامَ قَتَلَتِهِ الثلاثةِ الذينَ عادوا ليُكَرِّروا جَريمَتَهُمْ. أيَّتُها **الكلمةُ** العَظيمةُ، ما أصعَبَ الوُصولَ إلى نورِكِ، وما أسهَلَ البِدايَةَ!	(الحرب على الديمقراطية الليبرالية – جوزيف لوكونتي)

مؤسَّسَةٌ بعدَ أُخرى، **وآدمُ** يُضيعُ معبدَهُ الداخِليَّ،

ويَنْأى عنْ نورِهِ.

مؤسَّسَةٌ بعدَ أُخرى، وتَنبتُ جَبابرةٌ تَفتكُ بالضعفاءِ

والمخالِفينَ، وتُطفِئُ النورَ، في عَمَهِها المَنظَّمِ، وتَرفَعُ

الظُّلمَ شِعارًا مقنَّعًا بالإيمانِ والصلاةِ.

يومًا بَعْدَ يومٍ، يُسحَقُ الأَبرياءُ باسمِ الحَقّ، ويُخنَقُ

صَوتُ العَقْلِ بالجَهْلِ باسمِ الإيمانِ، ويُزيحُ المتواضِعينَ

أباطِرَةُ الشريعَةِ، باسمِ الشريعَةِ الساميَةِ.

يومًا بَعدَ يومٍ، يُصْلَبُ المسيحُ مجدَّدًا على الجلجلةِ،

باسمِ ***الكلمةِ*** التي صارَتْ بَدَدًا.

يومًا بَعدَ يومٍ، يُكَرِّرُ تُجّارُ الشريعَةِ فِعلَتَهم، وقد

حوّلوا المعبدَ، مرّةً أخرى، مَغارةً للصوص، وغُرْفةً

للتجارةِ والمالِ.

لا يمكِنُكَ أن تَعْبدَ ربَّينِ: اللهَ والمالَ.

"أنتم تعلمونَ أنّ رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلّطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيمًا فليكن لكم خادمًا. ومن أراد أن يكون فيكم أوّلًا فليكن لكم عبدًا."

(متى٢٠:٢٥-٢٧)

"لاَ يَقْدِرُ خَادِمٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ

يومًا بعدَ يومٍ، ينسى **آدمُ** أنّ الحريّةَ هي شرطُ الإيمانِ، وأنَّ هذه النعمةَ التي في أعماقِهِ ترتبط بالكرامةِ والتّفتُّحِ. لا تاريخَ، بَعْدُ، سوى نارِ الموتِ. لا شهادةَ غَيْرُ الصَّلْبِ المتكرّرِ. لا مقهورَ على أعمدةِ الإحراقِ سوى الحقيقةِ. **آدمُ، آدمُ،** أيُّها الضائعُ في غَياهِبِ الجَهْلِ، ماذا فعلْتَ ***بالكلمة*** ! ***** كانَ طغيانُ المؤسَّسَةِ عاتيًا، كما كانَ طغيانُ الكَهَنَةِ في المعبدِ الماديّ قديمًا.	الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ." (لوقا: ١٦/ ١٣)

حملوا الصليبَ، وباسمِهِ حافَظوا على سلطانِهِمْ وَجاهِهِمْ، إلا مَنْ كانَ منهمْ على دربِ ***الكلمة***، فَما أعماهُ الجاهُ ولا السلطانُ، ولا ضَلَّتْ رِجلاهُ الطريقَ إلى معبدِهِ الداخليّ.

لكنَّ الصّليبَ صارَ سيفاً وخنجراً، يَفْتكُ بالأَبرياءِ باسمِ ***الكلمةِ***، غَزْواً بَعْدَ غَزْوٍ، ويذبَحُ كلماتِ الأنبياءِ، ليُعَلّيَ شريعةَ المؤسَّسَةِ على ميثاقِ ***الكلمةِ*** عينِها.

*****

في ظَلامِ القرونِ الوسطى، في الجَهْلِ الذي مَحَقَ النورَ، وَأَطْبَقَ على قُلوبِ المستنيرينَ والمسارّينَ، انفجرَ الظلْمُ، وبَثَّ الرُّعْبَ في كُلِّ مَكانٍ، باسمِ حُماةِ

"خُوِّلَ لكاهن التفتيش الخاصّ أن يستعين بمَن يراه لازِمًا لمعونتِهِ من الجواسيس، وكانَ يُطلَق على تلك المحكمة الخاصّة البابويّة "الديوان المقدّس"، أو "التفتيش المقدَّس"... وأُحِلَّ لهم ارتكاب الجرائم مهما يكن نوعها... فكان المتَّهَم الذي يحضر أمام المحكمة يُسأل ويقرَّر بما يعتقده صراحةً عن الكنيسة وعن الدين المسيحيّ، فإذا أبى الإذعان دُفِعَ به إلى مُعَذِّبينَ يسومونَهُ العذابَ الأليم..."

(محاكم التفتيش – د. علي مظهر)

الميثاقِ الجديدِ، يَبيعونَ الناسَ رِياءَهُمْ مقنَّعًا بكلامِ الميثاقِ الجديدِ، ولكنَّهمْ ينزعونَ عنِ المقدَّسِ طابَعَهُ المجرَّدَ، لتَفتُكَ بهِ السياسَةُ، وشهوةُ السلطةِ والثراءِ.

لَمْ يَبْقَ منَ المؤسَّسَةِ الأولى التي رفَعَها على أكتافِهمْ رُسُلٌ أبرارٌ، وغرسوا أساسَها بدمائهمْ وشهادتِهمْ، إلا ظِلالٌ تَحْمِلُ معَها الخَيبَةَ، والرُّعبَ، والانحرافَ؛ وراحَتْ تخْنُقُ الإيمانَ والآراءَ.

فمِنْ عَقيدَةِ الطبيعةِ الواحِدَةِ، إلى عقيدَةِ الطبيعتَيْنِ؛ ومِنَ الإلَهِ الذي ماتَ على الصليبِ، إلى النبيِّ البشَريِّ الذي ترَكَ جَسَدَهُ، وارتفعَتْ روحُهُ؛ ومِنَ المسيحِ النبيِّ البسيطِ الذي كانَ أقوى مِنَ الموْتِ، إلى التَّثليثِ الذي قامَتْ عليهِ شَريعَةُ المؤسّسَةِ الأساسيّةُ؛ ومن تَفسيرِ كلامِ ***الكلمةِ***، إلى شَرْحٍ مُسْهَبٍ لا يَقبَلُ بالآخرِ... آراءٌ، آراءٌ... كلُّها تعكسُ الثنائيّاتِ والتناقضاتِ

"قام شجار آخر عنيف بين الكنيستين... وظل النزاع قائمًا... حتى سنة ١٠٥٣م، حيث أصدر بابا روما حكم الحرم على أسقف القسطنطينيّة، فلم يكن من هذا الأخير إلّا أن أذاع على العالم أنّ كنيسة روما قد هرطقت. وكان نتيجة هذا الصراع والشجار انقسام آخر في الكنيسة، فانفصلت كنيسة رومية، وسُميت الكنيسة الكاثوليكيّة، أو اللاتينيّة، أو الغربيّة، أقول انفصلت هذه الكنيسة عن كنيسة القسطنطينيّة التي سُميت كنيسة الروم، أو الكنيسة اليونانيّة، أو الشرقيّة."

(تاريخ انشقاق الكنائس – القس زكريا بطرس)

المنفجِرَةَ، من داخلِ المؤسَّساتِ، تُلبِسُ الميثاقَ الجديدَ أَكْسِيَةً لا يُريدُها، وكِساؤُهُ بَسيطٌ جِدًّا: المحبَّةُ.

ومِنَ ثُنائيّةِ الكنيسةِ بينَ الشرقِ والغربِ، من كَنيسةٍ غربيّةٍ وأخرى شرقيّةٍ؛ ومن إبيونيّةٍ تحمِلُ هالةَ الفقرِ، وتتمسَّكُ باليهوديّةِ إلى جانبِ المسيحيّةِ، إلى كاثاريّةٍ ادَّعَتِ الطهارةَ؛ ومن نسطوريّة تتمسّكُ بطبيعةٍ واحدةٍ ناسوتيّةٍ، إلى يعقوبيّةٍ تتمسّك بطبيعةٍ واحدةٍ إلهيّةٍ؛ ومِنَ الدوسيتيّةِ التي تنبذُ المادَّةَ، إلى الغَنوصيّةِ والعِرفانيّةِ... مسارٌ طويل من التشقُّقِ أَعطَبَ المؤسَّسَة، وجعَلَها تَنحَرِفُ عَنْ هدفِها السامي، لِتغرقَ في تُرَّهاتِ التفاصيل، وأُحاديَّةِ الرؤيةِ.

"الكنيسة هي جماعة المؤمنين، جسد المسيح... وهي في معناها الحقيقي ليس فقط جماعة المؤمنين، ولكن جماعة المؤمنين حول سر الإفخارستيا." (كنيسة – الأنبا تكلا هيمانويت)

فَقَدَتِ المؤسَّسَةُ الأولى صفاءَها، حينَ سلكَتْ دربَ السلطةِ؛ وراحَ أربابُها يقيسونَ العقلَ بالأدواتِ التي يريدونَ، وقد نَسَوا أنَّ الإيمانَ يُقاسُ بالبصيرةِ، ويقومُ على

حرّيّة اختيارٍ هيَ فوقَ كلِّ اعتبارٍ، لأنّ الذاتَ تَختارُ أَنْ تؤمِنَ، وتلتزمُ بهذه النعمةِ التي تكتشِفُها في أعماقِها، وشِعارُها الكرامةُ الإنسانيّةُ والمحبّةُ، فوقَ أيِّ شِعارٍ آخرَ يرتدي زيَّ الحقيقةِ، ولكنّهُ يَنكَشِفُ عَنْ خواءٍ.

وظَلَّتْ قِلَّةٌ مِنَ البَرَرَةِ القِدّيسينَ تقتفي آثارَ الدربِ، إلى الفردوسِ المستعادِ.

ظَلَّتْ هذه القِلَّةُ القِدّيسةُ تُحاوِلُ أَنْ تَرُدَّ للمؤسَّسَةِ طابعَ النقاءِ الذي كانَ في مرحلتِها الأولى، آنَ تَمَّ تأسيسُها، وآنَ كانَتْ مؤسَّسَةُ أورشليمَ والكنائسُ السبعُ التي تتمسَّكُ بصفاءِ الميثاقِ الجديدِ، يشعُّ فيها أَلَقُ المؤمنينَ، لأنَّ هؤلاءِ هُمُ الكنيسةُ.

أَدْرَكَتْ هذه القِلَّةُ أَنَّ الكنيسةَ ليسَتْ سياسةً، ولا مؤسَّسَةً، بل جَماعةٌ تدينُ بالحقِّ، وتقدّسُ ***الكلمة***.

"يَخِرُّ الأَرْبَعَةُ وَالْعِشْرُونَ شَيْخًا قُدَّامَ الْجَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ، وَيَسْجُدُونَ لِلْحَيِّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ، وَيَطْرَحُونَ أَكَالِيلَهُمْ أَمَامَ الْعَرْشِ قَائِلِينَ: أَنْتَ مُسْتَحِق أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ."

(رؤيا: ٤/ ١٠ – ١١)

الكنيسةُ ليستَ نَهْجَ سياسةٍ، بل أَنفُسٌ طاهِرَةٌ، تُعلّي سَقْفَ **المحبَّةِ والإحسانِ والأملِ**، ليتمَجَّدَ خالقُها في كلِّ آنٍ.

الكنيسةُ روحٌ شفّافَةٌ، تعكسُ مَلَكوتَ ***الكلمةِ*** على الأرضِ، وتَرفَعُ فيهِ التسبيحَ، ليَستَعيدَ فِعْلُ الخَلْقِ دلالَتَهُ.

*****

أَوْجَدَ المرسلونَ المؤسَّسَةَ لِتَنْشُرَ ***الكلمةَ*** بينَ جَماعةِ المؤمنينَ، فيشكّلوا، معًا، كنيسةً واحدةً، رَسوليّةً، تَتَمأْسَسُ بِمَنْ يقودُها.

لكِنَّ عَمَهَ القيادَةِ وإغراءَ السلطةِ طغى على أبناءِ المؤسَّسَةِ، آنًا بعدَ آنٍ، فَتَشقَّقَتْ شيَعًا متناحِرَةً، وراحَتْ

"لم يعد أحد يتكلّم على غير الانتقام والحرم والمذابح. لم نعد نرى غير الخناجر والمحارق والدم والرؤوس المقطوعة والجثث المشوّهة... وفي وسط الرعب... كان رجال مرعبون يحملون المقصلة يعبرون المقاطعات يقتلون ويبحثون عن كلّ مَن يشكون في أنّه لا يشاركهم غضبهم، أو يرغبون في تنظيم آخر للأمور."

(مبحث تاريخي في دمار التنظيمات الدينية في فرنسا في القرن ١٨ – جان ماري برات)

تأكلُ قلبَ الكنيسةِ وأبناءَها الذين يستمسكونَ **بالكلمةِ**.

أكَلَتِ المؤسَّسَةُ أبناءَها في عصورِ الظلامِ، وأخْضَعَتْهُمْ بقوّةِ السيفِ لجَبَرُوتِها، وبالفَتْكِ والترهيبِ، كي لا يبتعدوا عن الطريقِ التي تختارُها هي لهمْ.

لم يعدْ لِحُرّيّة التفكيرِ معنًى، ولا لِكرامةِ الإنسانِ خارجَ هذه المؤسَّسَة.

لم يعد التسامحُ وارِدًا في قانون المؤسَّسَة – هي التي قامت من أجل أنّ تنشره، وتَبثَّ روحَ المحبّة بين البشر، وتُقيمَ عرشَ الأُخُوّة في كلِّ مكانٍ.

حتّى الذين قاتلوا تحتَ لواءِ الصليبِ، باسمِ الكنيسةِ، أُرسِلوا إلى عواميدِ المحارِق، بعد أن دافعوا

عن الهيكلِ المقدَّسِ، ورَوَوا بدمائهم الأرضَ المقدّسةَ.

حتّى الذين نَذَروا حياتَهم للصلاةِ والقتال في سبيلِ الكنيسةِ ومؤسَّستِها، اقتادَتهمْ مغلولينَ بالسلاسل، وباعتهم للسياسةِ والجشعِ والكبرياءِ، ولفّقَت لهم تُهَمَ المُروق، ليكونوا عِبْرةً لمن يخالفها.

ارتفعَت المؤسَّسَة ميثاقاً موازيًا للميثاقِ الحقيقيِّ، وكانَ عليها أن تصونَه، وتعملَ بنورِه.

هكذا تَصَدّعَتْ وحدتُها، مَرّةً بعدَ مرّةٍ، وتحوّلتْ إلى مؤسَّساتٍ متناحرةٍ، تحتَ عينِ الشمسِ.

آراءٌ... آراءٌ...

كلٌّ منها يُسْنِدُ الحقَّ والحقيقةَ إلى نفسِه، ويَرمي سِواهُ بالباطِلِ.

تشققَتِ المؤسَّسَةُ بذريعَةِ نَقْلِ تَعليمِ ***الكلمةِ***؛

وكانَ أبسطُ تَعليمٍ لها أنْ أَحِبّوا بَعضَكُمْ.

تشقَّقَتِ المؤسَّسَةُ، وكانَ الهدفُ منها، معَ البَرَرَةِ الأُوَلِ والمرسَلينَ، أَن تعكسَ ملكوتَ اللهِ على الأرضِ وتَصونَهُ، بعدَ أن ضَيَّعَ مَعناهُ كَهَنَةُ المعبَدِ المستبِدّونَ مِنْ قَبلُ.

وملكوتُ ***الكلمةِ*** حبّةُ خرْدَلٍ تتكاثرُ، لا يدخلُهُ إلا مَنْ حمَلَ في صدرِهِ قلبَ الأطفالِ؛

أَوْ هِيَ خَميرةٌ تُخَمّرُ كامِلَ العجينِ حولها.

تَشَقَّقَتِ المؤسَّسَةُ، وكانَ هدفُها أن تقودَ كنيسةَ ***الكلمةِ*** إلى النورِ الحقيقيِّ، وتَنشرَهُ في كلِّ مَكانٍ، لِتَكبُرَ بهِ، وَيَشعَّ في جميعِ الأمكنةِ.

"مَاذَا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ اللهِ؟... يُشْبِهُ حَبَّةَ خَرْدَل أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَأَلْقَاهَا فِي بُسْتَانِهِ، فَنَمَتْ وَصَارَتْ شَجَرَةً كَبِيرَةً، وَتَآوَتْ طُيُورُ السَّمَاءِ فِي أَغْصَانِهَا... يُشْبِهُ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيق حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ."

(لوقا: ١٣/ ١٨ – ٢٠)

أَيّتُها المؤسَّسَةُ التي صدَّعَها الكبرياءُ، وحطَّمَ وحدةَ جدرانِها ظلامُ القرونِ الوسطى، وتَعَنُّتُ **آدمَ**، ماذا فعَلْتِ بالمؤمنينَ؟

أَيّتُها المؤسَّسَةُ التي أُريدَ لها أن تعكسَ ملكوتَ اللهِ على الأرضِ، ماذا فعلْتِ بهذا الملكوتِ؟

أَيّتُها المؤسَّسَةُ التي نَخَرها الضَّياعُ، ولم يَنْجُ منهُ إلا قلّةٌ من الأبرارِ القدّيسينَ، ماذا فعَلْتِ ***بالكلمة*** ؟

"هذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ."
(يوحنا: ١٥/ ١٢)

*****

حاولَتِ المؤسَّسَةُ استعادةَ حَيَوِيَّتِها، وتجديدَ صفائِها، وجَهَدَتْ كثيراً لِتَتَصَفّى من داخلٍ.

حاولَتْ أَنْ تنفضَ عن نفسِها غبارَ الصدأِ، وعُفونةَ السلطَةِ.

غيرَ أنَّها عادَتْ إلى السقوطِ في تآكُلِ الذاتِ؛ واندلَعَتْ حروبٌ بينَها وبينَ ذاتِها، من أجلِ تركيزِ سلطتِها، فصارَتْ بعكْسِ ما أُريدَ لها أن تكونَ.

مِنْ بَثِّ ميثاقِ ***الكلمةِ*** في كلِّ مَكانٍ، إلى التَصدُّعِ المخيفِ الذي مُنِيَتْ بهِ.

مِن بناءِ معبدِ **آدَمَ** الداخليِّ، إلى تشقُّقِهِ، وانصداعِهِ، وخُبُوِّ نيرانِهِ.

ومِنْ بدعةِ بيْعِ صُكوكِ الغفرانِ، وشراءِ أَمْكنةٍ في الفِردوسِ، إلى نَفْيِ بتوليَّةِ مريمَ أُمِّ الربِّ، والتعالي عن الحبَلِ بِلا دَنَسٍ، إلى الملوكِ الذينَ يَشقّونَ المؤسَّسَةَ أكثرَ، ويحتالونَ على الشريعةِ من أجل وريثٍ لهم. . . مَسيرةٌ ثقيلةٌ من الأسى والمرارةِ، مُرَصَّعَةٌ بالخيبَةِ والخِذلانِ.

"الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء!"
(المجمع الثاني عشر بروما ١٢١٥)

كُلُّ هذا يحدثُ في وقتٍ يحتاجُ فيه **آدمُ** إلى مساعدةٍ لتسديدِ خطاهُ، وفَتْحِ البابِ، شيئًا فشيئًا، ليجد لهُ خلاصًا من انفجارِ العقلِ. يتحرّكُ العقلُ ليضَعَ **آدَمَ**، وجهًا لوجهٍ، أمامَ مرحلةٍ جديدةٍ.	

- ٥ -

لَـم يلبثِ العقلُ أَنِ انفجرَ، فانحجَبَتِ البصيرةُ تمامًا، وتحوّلَ **آدمُ** نحو واقعٍ جديدٍ.

تعاظَـمَ شَبَحُ الآلَةِ، فَسَقطَ في فَخّها، وسلَّـمَ نفسَهُ تسليمًا لأحلامِها الرهيبةِ، لينموَ بهذا فِكرٌ جديدٌ، مُخيفٌ، يجعلهُ من مادّةٍ وحسبُ.

لَـم يعدْ **آدمُ** ينظرُ إلى الروحِ.

سقطَ اعتقادُهُ بثنائيّته.

ظَنَّ أَنَّ صراعَ المتناقضاتِ قد غابَ فيه، وأنّه عادَ واحِداً، واستعادَ ذاتَهُ الكلِّيَّةَ من وجودِ ***الكلمةِ***.

في ذاكَ الزمانِ، أطلَّ شَبَحُ الآلةِ ليُقدّمَ **لآدمَ** كساءً جديداً، يحجبُ بهِ تمامًا معبدَهُ الداخليَّ.

"لم يستطع البعض مقاومة إغراء... القول بأنّ الله هو الميكانيكيّ الأعظم، أو إغراء الاعتماد على أنّ علمهم الرياضيّ مفتاح الحياة أو الموت، أو إغراء البحث داخل معاملهم عن نوع من الحقيقة المطلقة."
(كرين برينتون – تشكيل العقل الحديث)

اكتسى العقلُ حِلّةً جديدةً ترتبطُ بآلَتِهِ وواقعِهِ الجديدِ.

رفَعَ العقلُ **آدمَ** ليسقطَ في مَتاهَةِ التألُّه.

وامتطى ظَهْرَ "مِفيستو"، ليحلّقَ في عالمِهِ الجديدِ سَيِّداً، لا يعلوهُ أحَدٌ، يَضَعُ هو لنفسِهِ ميثاقاً معَ ذاتِهِ، ويَفتَحُ أفقَ التجريبِ إلى أقصى الممكنِ.

انتقَلَ من السقفِ إلى الفضاءِ.

لا حدودَ لقفزةِ **آدمَ**، فالمكانُ لم يعد يسعُهُ.

لا سماءَ، بَعْدُ، لا حدودَ لطموحِ مشروعِهِ.

آدمُ الإلهُ يكتبُ سُنَنَ العالَمِ على قياسِهِ، بعدَ أن صارَ فيهِ هوَ كلَّ شيءٍ.

لا شيءَ يعلوهُ: هو الرايةُ، والهواءُ، والمحجَّةُ، والعنوانُ.

لا شيءَ يعلوهُ: هو الأفقُ، والنهايةُ المترامية...

"لقد اخترع الإنسان الآلهة صراحة حتى يخفِّف من شدّة قلقه في مواجهة أخطار الحياة."
(الفكر الأوروبي الحديث – فرانكلين باومر)

"لقد تحدث الله إلينا فيما مضى، ولكنه الآن لاذ بالصمت."
(الفكر الأوروبي الحديث – فرانكلين باومر)

"مَن يعرف مثلَنا المصادفة الهائلة التي قد مثّلت حتى الآن بالنظر مستقبل الإنسان لعبتها – لعبة لا دور فيها ليد الله ولا حتى لإصبعه..."
(ما وراء الخير والشر – نيتشه)

"تقدّموا إلى هذه الألواح القديمة، ألواح وصايا الأتقياء،

لا شيءَ يعلوهُ. صارَ هو الإلهَ المطلقَ السيّدَ في هذا العالمِ الذي يريدهُ على شاكلةِ طموحِهِ.

هذا هو العالمُ الحديثُ.

*****

هكذا انفصلَ **آدمُ** تمامًا عن المؤسَّسَةِ، وأشاحَ بوجهِهِ عن الكنيسةِ، لاعتقادِهِ بأنّه لم تَعُدْ لهُ حاجةٌ إليها .

تحوّلَتِ المؤسّسةُ وكنيستُها التي تصدّعَتْ إلى أشلاء، تناثرَتْ، هنا وهناكَ، بينَ شرقٍ وغربٍ.

وعَصَفَ بهِ شَبَحُ المادَّةِ، فظَنَّ أنّهُ يستردُّ من ***الكلمةِ*** الصفاتِ التي أعطاها إيّاها، وظَنَّ أنّهُ يُزيحُ ربَّهُ، ليُنَصّبَ نفسَهُ ربًّا جديدًا على هذا الكونِ، وسيّدًا مطلقًا بآلتِهِ الصمّاءِ.

وحطموها تحطيمًا، بل اقضموا بأسنانكم هذه الوصايا، فلا تتفوّه شفاهكم بها لأنّها كلمات المشنّعين بالحياة."

(هكذا تكلم زرادشت – نيتشه)

"لقد مات جميع الآلهة، فلم يعد لنا من أملٍ إلا ظهور الإنسان المتفوّق. فلْتَكُنْ هذه إراداتُنا الأخيرةَ."

(هكذا تكلم زرادشت – نيتشه)

وعلى ظَهرِ "مِفيستو"، راحَ بني "بابلَ" الجديدةَ بالمعدِنِ والأسفلتِ والآلاتِ والبخارِ، ليحكمَها بالعقلِ وشريعتِه، مُسْقِطًا عنهُ نورَ البصيرةِ— صارَ العالمُ بِنْيَةً من المادّةِ الصمّاءِ، ترتفعُ شاهقًا في السماءِ، لتنطحَ بقرنيها فردوسَ ***الكلمةِ***. ***** كانتِ الآلِهةُ أصنامًا من الحجارةِ، رفعَها الإنسانُ بجَهلِهِ؛ فصارتِ الآلهةُ الجديدةُ وحوشًا جبّارةً من حديدٍ ونارٍ، تلتهمُ الروحَ، وتتركُ، في كلّ مكانٍ، برودةَ المعدنِ الذي يقطرُ دَمًا – دمَ **آدمَ** القديمِ وهو يبحثُ عن فردوسِهِ السماويّ.	"ثُمَّ الْتَفَتُّ أَنَا إِلَى كُلِّ أَعْمَالِي الَّتِي عَمِلَتْهَا يَدَايَ، وَإِلَى التَّعَبِ الَّذِي تَعِبْتُهُ فِي عَمَلِهِ، فَإِذَا الْكُلُّ بَاطِلٌ وَقَبْضُ الرِّيحِ." (الجامعة: ٢/ ١١)

غابَتْ آثارُ الطريقِ، وانحجَبَتْ تمامًا؛ وصارتْ مَحَجَّةُ **آدمَ** الجديدةُ عالمًا أصمَّ، يربطُ ذاتَهُ بالزمانِ، فيجرُّهُ هذا إلى هوّةِ المحدودِ. كلُّ شيْءٍ مُرتَهَنٌ بالزمانِ والمكانِ. كلُّ اتّساعٍ، بعْدُ، حدودٌ ضَيِّقَةٌ. صارتِ الأرضُ، بفراغِها وعقمِها، هي السماءَ المنشودةَ؛ وصارتْ شريعةُ الأرضِ وقِيَمُها، في ظلِّ غيابِ البصيرةِ، هيَ التي تَحْكُمُ **آدمَ**، وتُمثِّلُ ما ظَنَّهُ ميثاقَهُ الجديدَ. **آدمُ، آدمُ...** صارَ عالَمُ العقلِ ساحةً للبيعِ والشراءِ، وسوقًا واسعةً للتجارةِ، يأكُلُ فيها القويُّ الضعيفَ، فَيَزدادُ قوّةً، وتلتهمُ الدُّوَلُ الكبيرةُ الصغيرةَ، باسمِ العدالةِ القصوى.	"ورأى الأُمَمَ الصغيرةَ سُدَّت عليها سُبُلَ الخلاصِ... فأَغْمضَت عيونَها تستقبل الموتَ لتستريح." (كتاب عبد الله – أنطون غطاس كرم)

هذا هو الميثاقُ الجديدُ: الوقتُ هو المالُ! ميثاقٌ منَ القوّةِ والتسلُّطِ والمصالحِ، يَنفجرُ فيهِ الكبرياءُ، والجشَعُ، والتعصُّبُ الأعمى للمنفعةِ الشخصيّةِ. هذا هو الميثاقُ الجديدُ: أُمَمٌ تمتدُّ في كلّ مكانٍ، وهي تحملُ، في داخلِها، بذورَ صراعٍ لا يهدأُ، وتحَكُّمًا أعمًى بالقوّةِ القاتلةِ. *****	
"أنا اللهُ!" قالَ **آدمُ**، أنا الإنسانُ المتألِّهُ. وصدَّقَ هذا!! قَرَنَ نفسَهُ بخالقِهِ، ظنًّا أنّه بهذا يستعيدُ منْهُ قوّةَ الخلقِ.	"لقد كان الناس يتلفّظون باسم الله عندما يسرّعون أبصارَهم على شاسعات البحار، أما اليوم فقد تعلّمتم الهتاف باسمِ الإنسانِ المتفوّق." (نيتشه – هكذا تكلّم زرادشت)

لم يَتَمثّلْ بهِ، بل نفاهُ، وتعامى عنْ وجودِهِ، وأنكرَهُ، مُتناسيًا تاريخَهُ المليءَ بالسقوطِ، ويدَ **الكلمةِ** التي كانَتْ تُمَدُّ لهُ، في كلِّ مرّةٍ، لتَنْتَشِلَهُ من الهوّةِ.

"أنا اللهُ!" قالَ **آدمُ**.

وصدَّقَ هذا!!

واندفعَ، فاجتمعَ لهُ ميراثٌ كبيرٌ من التيهِ والضياعِ، وعروشٌ عاليةٌ من الكبرياءِ المميتِ، وطموحٌ أعمى إلى القوّةِ المطلَقَةِ، يقودُهُ جشعٌ لا حدَّ لهُ ولا حصرَ، يزدادُ يومًا بعدَ يومٍ، كلّما نَمَتْ قوّتُهُ عبْرَ الزمَنِ.

كلّما ازدادَ قوّةً، ظَنَّ أنّ مشروعَهُ الجديدَ صحيحٌ، فَنَما فيهِ العُتُوُّ والجبروتُ.

كلّما ازدادَ قوّةً، تخيَّلَ نفسَهُ خالقًا بامتيازٍ، يأمرُ الأُمَمَ فتَنْقادُ، ويَمُدُّ عصاهُ نحوَها، فتسجدُ لهُ صاغرةً.

"ألا يعلم بعد هذا الشيخ في غابة أنّ الله قد مات"
(نيتشه – هكذا تكلم زرادشت)

"إله الخير، مثله مثل الشيطان، كلاهما محض إنتاج للانحطاط."
(ضد المسيح – نيتشه)

"يُوجدُ شَرٌّ قَدْ رَأَيْتُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ وَهُوَ كَثِيرٌ بَيْنَ النَّاسِ."
(الجامعة: ٦/ ١)

"وَيْلٌ لِسَاكِنِي الأَرْضِ وَالْبَحْرِ، لأَنَّ إِبْلِيسَ نَزَلَ إِلَيْكُمْ وَبِهِ غَضَبٌ عَظِيمٌ!" (رؤيا: ١٢/ ١٢)	انسحَبَتْ "بابلُ" الجديدةُ على العالمِ؛ فهامَ فيها **آدَمُ** على وَجْهِهِ، يرتقي طَبَقاتِ البرْجَ، أو يطيرُ إلى سَطْحِهِ، أكثرَ فأكثرَ، محمولاً على جانحَي "مِفيستو". لم يعدْ تَبَلْبُلُ الأَلْسُنِ عقابًا. صارَ مشيئةً آدميّةً، وميزةً تُمَيِّزُ كلَّ طبَقَةٍ من طبقاتِ البرجِ عنِ الأُخرى. ***** واشتدَّ بِهِ الصَّلَفُ، فيَمَّمَ شَطْرَ المادّةِ، وظَنَّ أَنَّهُ يُسيطرُ عليها، ويُخْضِعُ الطبيعةَ لناموسِهِ؛ فشقَّ الذرَّةَ، وردَّ الحديدَ سلاحًا عاتيًا، واختصرَ الحضورَ بالثراءِ والمالِ تَنْتَظِمُ فيهما مَكانَةُ الأوطانِ والإنسانِ. هكذا تحوّلَ العالمُ شَطرينِ اثنينِ: غالِبًا ومغلوبًا؛ وتَوزّعَ على طرفينِ: سَيِّدٍ ومَسودٍ؛ واستقامَ هذا في

شريعةٍ جديدةٍ، وميثاقٍ جديدٍ: شريعةِ الأقوياءِ وميثاقِهِمْ.

احتقَنَتِ القِيَمُ وانفجَرَتْ. صارَتْ ظِلًّا بائسًا، هزيلًا، يطفو على عبابِ العالَمِ، كفقاقيعِ الهواءِ . . .

في "بابلَ" الجديدةِ هذه، عَدَّ **آدَمُ** نفسَهُ كامِلًا، مكتمِلًا، فأفادَ من تَصَدُّعِ مؤسَّسَةِ ***الكلمة***، وأعلنَ سقوطَ الكنيسةِ، وانفصالَهُ عن مؤسّسَتِها، في عالمٍ ما عادَ يحتاجُها.

هكذا اكتملَ تَعاليه، وتمّت له صورةُ إلهِهِ الجديد: آدَمَ المتألِّهِ.

*****

"أديان البشر يجب أن تصنَّف باعتبارها وهمًا من أوهام الجماهير... وعلى الإنسان أن يتحلّى بالشجاعة الكافية للاعتراف بأنّه وحيد في هذا الكون الفسيح واللاشخصيّ."
(مستقبل وهم – فرويد)

"نلاحظ أنّ الإنسان يفعل الشر منذ زمان طويل، منذ أن كان، من غير شكّ. إنّه يقتل

واستبدَّ بهِ الجبرؤوتُ أكثرَ، فقرَّرَ أَنْ يعيدَ تشكيلَ العالمِ: مِن عالمٍ يعيش فيهِ الجميعُ، أقوياءَ وضعفاء، إلى عالمٍ قويٍّ، عاتٍ، لا مكانَ فيهِ للضعيفِ. وكانَّ أنموذَجُ القائدِ السامي الذي يقوِّضُ شريعةَ الخلقِ السابقةِ، لينفِّذَ خلقاً جديداً، على صورتِهِ هو. وقرَّرَ، في مكانٍ آخرَ، أنَّ العالمَ المبنيَّ على أعمدةِ **الكلمةِ** تركيبُ وَهْمٍ، يمشي بالمقلوبِ؛ فذوَّبَهُ في قالبٍ جديدٍ، واحدٍ، لا روحَ فيه، لكي يجعله يسيرُ على رجليه. ونصَّبَ نفسَهُ مُبْدِعًا، فَضمَّ إليهِ الأطرافَ بِكَمِّ الأفواهِ، وإراقةِ الدماءِ، تحتَ لواءِ عقيدةٍ جديدةٍ، تَعِدُ البشرَ بخلاصٍ مزعومٍ. ضاعَتْ، هنا وهناكَ، حرّيّةُ الإنسانِ، وانسحقَ الفردُ في حديديّةِ السلطةِ، وصارَ القائدُ منتصِبًا إلهًا واحِدًا أحَدًا جديدًا، في عالمٍ فارغٍ مِنْ سِواهُ.	ويضطهد ويعذب أخاه الإنسان." (نظرات حول الإنسان – روجيه غارودي) "الدين زفرة الإنسان المسحوق، روح عالم لا قلب له، كما أنه روح الظروف الاجتماعية التي طرد منها الروح. إنه أفيون الشعب." (في نقد فلسفة الحق عند هيغل – كارل ماركس)

في هذا العالمِ المبنيّ مِنْ حديدٍ ونارٍ، غابَ ميثاقُ الكلمةِ تمامًا، وامَّحَتْ مِنْ أمامِ **آدمَ** الطريقُ إلى الفردوسِ المستَعادِ.

*****

واندلَعتْ حربانِ كالتنّينِ الذي يخرجُ مرّةً أخرى من "الرؤيا"، يلتهمُ الناسَ، ويشربُ الدماءَ، ويحجبُ أفقَ الغدِ، أَعْتى من التنّينِ الأوّلِ في "الرؤيا".

حربانِ كشفَتا **لآدمَ** أنّ الصرحَ الذي بناهُ بالحديدِ والنارِ ينهارُ فوقَ رأْسِهِ، وأنَّ البرجَ الجديدَ الذي رفعَهُ لَمْ يَشُقَّ السماءَ، بل سقطَ عليهِ من علياءَ، ليبقُرَ بطنَ الأرضِ، ويعلنَ بدايةَ سقوطِ ميثاقِ **آدمَ** الجديد.

"وَيْلٌ لِسَاكِنِي الأَرْضِ وَالْبَحْرِ، لأَنَّ إِبْلِيسَ نَزَلَ إِلَيْكُمْ وَبِهِ غَضَبٌ عَظِيمٌ!"

وَجَّهَت السّكّةُ التي اختارها **آدمُ** قدمَيه نَحْوَ أرضٍ يَبابٍ، ضاعَتْ كأْسُها، وأَجْدَبَتْ نفوسُ ساكِنيها وأقفَرَتْ، ومُنِيَتْ بالقَحْطِ.	(رؤيا: ١٢/ ١٢)
كانَ نَباتُ الفِطرِ الذي ارتفعَ فوقَ سماءِ "هيروشيما" و"ناغازاكي" إيذانًا بموتِ الروحِ في داخلِ **آدمَ**، وبانبعاثِ "قايينَ" ليَفتُكَ بأَخيهِ، ويخنقَ في أعماقِهِ صوتَ الضميرِ.	"مَن كانَ ظَنَّ أَنَّ المسيحَ قد ماتَ عبثًا؟ إنَّه يسيرُ مجدَّدًا على بحار الدم، إنَّه يعودُ في المطر الرهيبِ." (ثلاث قصائد للعصر الذرّيّ – إيديث سيتويل)
مَشَتْ قدَما ***الكلمةِ*** على بحارِ الدماءِ التي أراقَها **آدَمُ** في كلِّ مكانٍ، في بَرْدِ الموتِ وجليده.	
كلُّ شيءٍ باردٌ حتّى الصقيع.	
كلُّ مكانٍ صارَ قَفْرًا يغشّيهِ الجليدُ والزَّمْهَريرُ...	
لا شمسَ، بعدُ، إلا شمسٌ صقيعيّةٌ، تنبثقُ من غيابِ الروحِ.	

سارَتِ **الكلمةُ** على بحارِ الدماءِ التي أراقها **آدم**...

نظَرَتْ إلى مجاعاتِ الأُمَمِ في غيابِ ميثاقِها.

راقَبَتْ رأْسَ المالِ يلتهِمُ كلَّ ما تصلُ إليهِ يدُهُ في الأُمَمِ الضعيفةِ، لِتتّسعَ أَمعاؤه يومًا بعدَ يومٍ، ويَنهشَهُ الجوعُ، أكثرَ وأكثر.

واخترعَ **آدمُ** مَواثيقَ ودساتيرَ، لتحلَّ محلَّ الأديانِ، حاولَ، من خلالها، أن يَضبطَ جنونَ الأمَمِ، ويُنظِّمَ علاقاتِها تحتَ حدودِ العدالةِ، والقانونِ، وكرامةِ الإنسانِ؛ لكنَّ القوّةَ ظلَّتْ تتحكَّمُ بالأضعفِ، وتحوّلَت هذه الحقوقُ إلى رنينٍ مليءٍ بالفراغِ.

ظلَّتْ شريعَةُ **آدمَ** الجديدةُ تتحكّمُ بقوانينِهِ في ظِلِّ "قايينَ" وتحكُّمِها، وظلَّت صورةُ المسيحِ يسيرُ على

"كُلُّ جرحٍ، كلُّ جرحٍ
يصرخُ بصوتٍ أعلى من صوتِ قايينَ –
يقولُ: أأنا حارِسُ أخي؟"
(ثلاث قصائد للعصر الذرّيّ – إيديث سيتويل)

بحورِ الدماءِ، في هَولِ العالمِ الحديثِ، تتراءى للنفوسِ الصافيةِ.

كانَتْ قوّةُ رأسِ المالِ وآلةِ الدمارِ، في كلِّ مكانٍ، تَضَعُ نيرَها في أعناقِ الشعوبِ المستَضعَفَةِ: مِن اغتصابِ الحُكْمِ في الدُوَلِ، هنا وهناك، لمصالحَ كبرى؛ إلى احتلالِ الأراضي بالقوّة، وأحيانًا بأسماءٍ مستعارةٍ؛ إلى اغتصابِ "فِلسطينَ" بخرافةِ "أرضِ الميعادِ"، إلى الوعودِ القاتلةِ مكافأةً للحلفاءِ في الحروبِ من حسابِ الآخرين، إلى انفجارِ الصراعاتِ الثنائيّةِ، هنا وهناكَ، عِرقيًّا، وفكريًّا، واجتماعيًّا، وماليًّا . . .

شريعَةٌ جديدةٌ لَمْ تُفْضِ إلا إلى إعلاءِ القوّةِ، وسَحْقِ الضعيفِ، واغتصابِ الأرضِ، وتشويهِ العقلِ.

"أديان البشر يجب أن تصنَّف باعتبارها وهمًا من أوهام الجماهير... وعلى الإنسان أن

شريعةٌ جديدةٌ، رهيبةٌ، في عالمٍ باتَت تُديره فوضى مُنظَّمَةٌ، في غيابِ الحقِّ، وخَنْقِ الشَّرْطِ الإنسانيِّ، ووطْءِ الكرامةِ البشريّةِ بالقدَمين. لا يزالُ وَحْشُ "الرؤيا" يخرجُ مِنْها إلى العالمِ المعاصرِ، في حركةٍ أَعْتى منها في الزمنِ الأوّل. لا يزالُ الوحشُ القابعُ في داخلِ **آدم**، في مجاهلِ ظُلماتِه، يخرجُ، طَوراً بعدَ طورٍ، لِيَطَأَ ميثاقَ ***الكلمة*** بحافرِه، ويُطفئَ نورَ معْبدِهِ الداخليِّ. ضاعَتِ ***الكلمة*** وآثارُها، واحتجبَ الفردوسُ المستعادُ. ومَعَ أنَّ قِلّةً قليلةً من بقايا **آدمَ** بقيَت مُتَمَسّكَةً بطريقِ ***الكلمةِ*** وميثاقِها، إلا أنَّ المؤسَّسَةَ والكنيسة تَضَعْضَعَتا شديداً، في عالمٍ يفتقرُ إلى الاتّزانِ. *****	يتحلّى بالشجاعة الكافية للاعتراف بأنّه وحيد في هذا الكون الفسيح واللاشخصيّ." (مستقبل وهم – فرويد)

في ظلِّ الثنائيّةِ والازدواجِ هذا، انشعبَ العالمُ في قسمين: غَرْبٍ وشَرْقٍ؛ وعالمٍ ثريٍّ وآخرَ فقيرٍ، وبلادٍ تُنْتِجُ وأخرى تَستهلِكُ.

لا عدالةَ في التوزيعِ؛ فحتّى البلادُ التي تَمْتَلِكُ خَيْراتٍ ومُقَدَّراتٍ، تُسَيْطِرُ على خيراتِها ومُقدراتِها الدولُ القويّةُ، تحتَ شعاراتٍ كثيرةٍ؛ وكمصّاصِ الدماءِ، تُفْرِغُ منها خَيْراتِها، وتتركها خرابًا بددًا، وصحراءَ ميْتَةً.

تلاشَتْ عدالةُ التوزيعِ، في عالمِ القَهْرِ والتصحُّرِ، وانحبَسَتِ العدالةُ في سراباتِ اليوتوبيا المتبحّرَةِ.

كلُّ هذا يحدثُ الآنَ.

كلُّ هذا بَناهُ **آدمُ** بشريعَتِهِ التي أحَلَّها محلَّ شريعةِ ***الكَلِمةِ***.

"نلاحظ أنّ الإنسان يفعل الشر منذ زمان طويل، منذ أن كان، من غير شكّ. إنّه يقتل ويضطهد ويعذب أخاه الإنسان."
(نظرات حول الإنسان – روجيه غارودي)

وكلّما حاولَتْ المؤسَّسَةُ، أَو ما بَقِيَ مِنْها، أَنْ تفتَحَ عَيْنَ **آدمَ** على خرابِ حياتِهِ، وعلى دربِ ***الكلمةِ***، كانَ الفشلُ نصيبَها، أمامَ كبريائِهِ المتضخّمَةِ، وجَشَعِهِ النَّهِمِ، وتَعَصُّبِهِ المخيفِ لنَفسِهِ.

لا شيْءَ سوى بشَرٍ غارقةٍ في الدماءِ، ومِيثاقٍ عاتٍ، يرفَعُ الأقوى، ويدوسُ الأَضعَفَ.

لا شيْءَ سِوى شَريعَةِ القوّةِ تكُمُّ أَفواهَ الضعفاءِ، وتَسحَقُ جَماجِمَهُمْ، لِتَبْنِيَ على عظامِهِمِ المهشَّمَةِ أمبراطوريَّةَ **آدمَ** الجديدةَ.

"عالم التجربة ليس إلا مظهرًا... ليس إلّا شرًّا." نظرات حول الإنسان – روجيه غارودي)

وَيلٌ لكَ، يا **آدمُ**، مِن فَراغِكَ الروحيِّ.

وَيلٌ لكَ، يا **آدمُ**، مِنْ ضَياعِ بَصيرَتِكَ.

*****

كلَّما أيقظت أطرافُ المؤسَّسةِ صوتَ **الكلمةِ** بثَّ **آدمُ** أصواتًا خبيثةً تُبدّدُ ما تقولُ.

بِدَعٌ، بِدَعٌ...

خَبيثةٌ هيَ، تتفشّى، هنا وهناكَ، على وجهِ البسيطةِ: تارةً تُقَدّسُ الظلامَ، وترفَعُهُ إلهًا جديدًا لها، وتارةً أُخرى تُحَرّفُ ما جاءَ في الميثاقِ، لتَبنيَ من هذا طوائفَ جديدةً. وأكثرُ هذه البدَعِ مَصْدرُهُ من مكانٍ واحدٍ في أقصى زوايا الغربِ، عَشّشَتْ فيهِ شياطينُ التخريبِ، تَتَستَّرُ برداءِ الحرّيّةِ، وتُضمِرُ الغَدرَ وتَشْويهَ الصافي، والتضليل.

حتّى الشرقُ الذي كانَ لا يزالُ بعيدًا عن تألُّهِ **آدمَ**، وعبادتِهِ نفسَهُ، تَحَرَّفَ فيهِ معنى الرسالاتِ، وانفجرَتْ مؤَسّساتُهُ، فدخلَتْ في صراعٍ مُسْتَميتٍ، وتآكَلَتْ، واهترَأَتْ، وكانَ الأبرياءُ مَنْ يدفعُ الثمنَ الباهظَ.

"هذه الأفكار تُرَوِّجها بِدعٌ وشِيَعٌ تُعَدّ بالآلاف تستند على حدِّ زعمها على الكتاب المقدّس وحده. والمؤسف أنّهم يُفسِّرون الكتاب المقدّسَ كما يحلو لهم وذلك بما يخدم مصالحهم."
(أضواء على بدع معاصرة – مطرانية الروم الأرثوذكس في حلب)

"المعروف أنّ المجتمع البشريّ، بعد آلاف السنين من التطوّر، حقّق في القرن العشرين درجةً غيرَ مسبوقة من الاعتماد على التكنولوجيا، وتوافرت له قدرة غير عاديّة لتدمير نفسه."
(الآلة قوة وسلطة – ر. إ. بوكانان)

حتّى الشرقُ تضَعْضَعَتْ فيهِ صورةُ ***الكلمةِ***، وتبدّدَتْ طَيْفَ آلٍ.

ونَما التعصُّبُ في غاباتِ الجهلِ المنتشرةِ، وراحَ يأكُلُ الناسَ، مرّةً بعدَ مرّةٍ، مُقنّعًا غاياتِهِ الخبيثةَ بالكلامِ الإلهيِّ، تُحَرِّكُهُ أصابعُ خَفيَّةٌ، من هنا وهناكَ، توقِظُ حِقْدَ الصدورِ، أَوْ تَبُثُّ فيها الحقدَ، فيَسري سَرْيَ النارِ في الهَشيمِ، مُبْتَلِعًا في طريقِهِ كلَّ **محبّةٍ** في القلوبِ، وكلَّ **إحسانٍ** وأُخُوَّةٍ، وكلَّ **أملٍ** في آتٍ صافٍ.

تَعَصُّبٌ وانغِلاقٌ أَحْيَيا نَعَراتٍ نامَتْ في **آدمَ**، فاندفعَتْ وحوشًا تضرِبُ في دُجُنَّةِ الغابِ المظلمةِ، وتُمَزِّقُ فيهِ بصيرتَهُ، وتفتكُ بطبيعتِهِ الإنسانيّةِ،

ليتحكَّمَ الوحشُ فيه، بعدَ أن استَيقَظَ بكاملِ حيويّتِهِ، مسدّدًا خُطاهُ حيثُ لا يُرادُ. يدعُ في الشرقِ والغربِ، تفورُ كالفِطْرِ يومًا بعدَ يومٍ، وتنتشرُ كالعَفَنِ، وتتقنَّعُ بأقوالِ **الكلمةِ**، وترمي بظلِّها الثقيلِ على العالمِ الآدميِّ. ضاعَ معنى الخَلْقِ في فوضى "بابلَ" الجديدةِ. ضاعَتْ طبيعةُ **آدمَ** في عَماهُ وعَمَهِهِ. ضَيَّعَ **آدمُ** الطريقَ إلى فردوسِهِ المستعادِ في ميثاقِهِ الجديدِ. ***** وَلَجَّ بهِ الجبروتُ، فكانَ عصرُ العولَمَةِ.	"أما السلطة، فقد اعتنت بمصالحها، وتجاهلت مصالح الأمة العليا، فتفاقمت من جراء ذلك حلبات الصراع... وغلب بذلك التعصب والإرهاب على الحياة العقائديّة والفقهية للأمّة بأسرها." (الإرهاب والتعصب عبر التاريخ – قاسم رائد)

فتَحَ العالَمَ على بعضِهِ، ليدخلَ الكلُّ على الكلِّ، لا لِينشرَ النورَ، بل ليتَمكّنَ من السيطرةِ أكثرَ، بقوانينَ تُقنّعُها حقوقُ الإنسانِ، ولكنّها تُوَظّفُ لِكَمِّ أفْواهِ الضعفاءِ، وإطالةِ أنيابِ القويِّ.

وأَقامَ المنظّماتِ، لتختبئَ العولَمَةُ تحتَ ظِلالِها، فتَعْمَلَ في خُبْثِ طَوِيَّةٍ، وتبقى المنظّماتُ أَشباحًا وظلالًا، لا تحمي، ولا تصونُ، بل يكونُ عملُها كَما الظِّلُّ بَينَ اللصوصِ المتحرِّكَةِ.

كلَّما أَلَحَّ **آدمُ** على شريعتِه، غرِقَ أكثرَ في الظلامِ، وعَلا بِهِ جانِحا "مِفيستو"، وقريحَةُ "إبليسَ"، ليَتّسِعَ فيهِ أكثرَ فأكثرَ شِقُّهُ المظلِمُ، ويَبسطَ ظُلْمَتَهُ في كلِّ زاويةٍ منَ الزوايا.

"الاقتصادات الوطنية خارج المناطق الثلاثة (اليابان وأوروبا الغربية وأميركا الشمالية) مستبعَدَة من عمليات تكوين الثروة في الوقت الذي تتزايد فيه مستويات الاعتماد المتبادل الاقتصادي فيما بين المناطق الثلاثة."

(العولمة ما لها وما عليها – محمد حاتم)

كلَّما ألحَّ **آدمُ** على شريعتهِ، ارتفعَتْ طبقاتُ برجِ "بابلَ" الجديدِ، تَنطحُ بقرنَيها السماءَ، وتنفثُ فيها أنفاسَها المظلمةَ، وتمسَحُ عن ذاكرتِها صورةَ ***الكلمةِ***.

كلَّما لجَّ الجبروتُ **بآدمَ**، غالى في تأليهِ نفسِهِ، وأمْعنَ في تقزيمِ القيمةِ الإنسانيّةِ، لتصيرَ شرائعُ البشرِ، وهيَ بعيدةٌ عن عدالةِ ***الكلمة***، قِيَمًا مكسورةً، في عالمٍ محطَّمٍ.

هكذا عاثَ قَتَلةُ المهندسِ خرابًا في كلِّ مكانٍ.

زرعوا الظلامَ في الزوايا، لينبتَ الشرُّ والخرابُ.

أوكلوا إلى بعضِ الجبابرةِ مهمَّةَ السيطرةِ على العالمِ، فكانَ علمُهمْ وبالًا على البشرِ، في كلِّ مكانٍ.

وكلَّما طبَّقوا شريعتَهمْ، أغمدوا حرابَها القاتلةَ في جسدِ الإنسانيّةِ المباحِ.

"تملك البلدان المتقدمة ٨٠ في المئة من الدخل العالمي، وهي تمثل ٢٠ في المئة من سكان العالم."
(العولمة والفكر المعاصر – الحبيب الجنحاني)

سرَقَ آدمُ خيراتِ الآخرينَ، باسمِ تحقيقِ العدالةِ. ألَّبَ بَعْضَهم على بعْضٍ، باسمِ الحقِّ الذي يواجِهُ الباطِلَ. صنَّفَ البلادَ ليتَسَلَّلَ إلى عروقِها، ويمتصَّ دماءَها، ويلْتَهمَ قلبَها، ويزيدَ قوَّتَهُ وثراءَهُ. فجَّرَ شريعَتَهُ في كلِّ جهَةٍ، فأوْرَثَ الحِقْدَ والكراهِيَةَ، وأُضْمِرَ لهُ الغَدْرُ في القلوبِ. بَثَّ الذُّعْرَ والترهيبَ، فانفجرَ الإرْهابُ في وجْهِهِ، ليَقْتَصَّ منْهُ وينتَقِمَ. عادَتْ شَريعَةُ الانتقامِ تُطِلُّ برأْسِها على العالمِ، وتُشْرِقَ فيهِ كالشمسِ المظلِمةِ. عادتْ تُسَطِّرُ ملحمةَ الموتِ والتقَهْقُرِ في أنحاءِ البسيطَةِ.	"هل يمكن أن يقبلني الآخر كما أنا؟" (الإرهاب المقدّس – إيغلتون) "عُرِّفَ الإرهاب إجمالًا بـ"نظام الرعب"." (الإرهاب والتعصب عبر التاريخ – رائد قاسم)

كُلُّ ما فيها يَغْرقُ في السوادِ، ويَبسطُ سلطانَ الخوفِ والريبةِ بَينَ الزوايا، فَتَقْشَعِرُّ الأَبدانُ، وتأْرَقُ العيونُ، وتنبضُ القلوبُ بالخشيةِ.

*****

رفَعَ **آدَمُ** معبدًا كاذبًا في قلبِ برجِ "بابلَ"، معبدًا ينشرُ الظلامَ عِوضًا من النورِ، والجَهْلَ المقَنَّعَ عِوضًا منَ المعرفةِ، والظلالةَ العمياءَ عِوضًا من الحِكمةِ.

ارتفعَتْ في هذا المعبدِ أَعمدَةٌ ثلاثَةٌ قامَ عليها: الكِبرياءُ، والتعصُّبُ، والجشَعُ.

أعمدةٌ ثلاثةٌ بنَتْها شَريعَةُ **آدمَ**، ليرتَكِزَ عليها عالَمُهُ الجديدُ، ومعبَدُهُ الكاذِبُ.

"ذهب مفكرون... إلى أنّ... الكون آلة تدير نفسها بنفسها وبالتالي لا تحتاج البتة إلى أيّ سبب فوق الطبيعة." (العلم في منظوره الجديد – روبرت م. أغروس)

وكانَ أنْ عبَدَ، في هذا المعبَدِ، نفسَهُ، ورفَعَ البَخورَ للمالِ، وصَلّى للقوّةِ التي يسحَقُ بها جَماجِمَ الآخَرينَ. أَسْنَدَ إلى نفسهِ قوّةَ ***الكلمة***، من غَيْرِ عَدْلِها وشَرِيعَتِها، فتَبَدَّدَ وَعْيُهُ طَيْفَ آلٍ، وضاعَ في صَحْراءِ الظلامِ، يومًا بعدَ يومٍ، تَقودُهُ أُمّةٌ تَدينُ بالقوّةِ، ويُسَيِّرُها الجَبَرُوتُ، ويحدّدُ أَهْدافَها الطَّمَعُ وَحُبُّ الثراءِ. من روحِ **آدمَ** النَّتِنَةِ كانَتْ روحُ تلكَ الأُمَّةِ، وَمِنْ ظَلامَةِ قَلْبِ "مفيستو" كانَتْ ظَلامَةُ قَلبِها، ومن حِقْدِ "إبليسَ" كانَ حِقدُها. العالَمُ، في عَينَيها، جماجِمُ مَسحوقَةٌ، تُمَهّدُ طريقَها للوصولِ إلى غاياتِها، والشريعةُ في عينيها قانونٌ مَطّاطٌ، مُلْتوٍ، تَستَفيدُ مِنْهُ، لتلتَهِمَ ثرواتِ غَيرِها، وتبسطَ	"ومصطلح "الإرهاب"... أوجدته واستعملته دول الاستعمار والاحتلال والعنصريّة والقهر في وصف المقاومين لسياستها. كما استعملته أنظمة الحكم الديكتاتورية لتجريح خصومها والنيل منهم." (الإرهاب يؤسس دورة — هيثم الكيلاني)

نفوذَها في كلِّ مَكانٍ، باسمِ ***الكلمةِ*** وعدالتِها الغائبةِ.

صارَ **آدَمُ** ظِلًّا للظلامِ، في عالَمٍ تحطَّمَتْ فيهِ المؤسَّسَةُ، فلمْ تَعُدْ بَقاياها قادرةً على النهوضِ بأَعْباءِ هذا الإنسانِ المتألِّهِ، ولَمْ يعُدْ ميثاقُها غيرَ حروفٍ يُطِلُّ منها رَذاذُ نورٍ قليلٍ في عَتمةِ العالمِ الثقيلةِ.

تَبَعْثَرَتِ الكَنيسةُ، وتشَقَّقَتِ المؤسَّسَةُ، وتصَدَّعَتْ، بَعدَ أَنْ كانَتْ مَعْبداً مرفوعًا لروحِ ***الكلمةِ***.

*****

في هذا العالمِ الرهيبِ، حيثُ تُسيطرُ روحُ "مفيستو" عَبْرَ قَلْبِ **آدمَ**، أَيَكونُ لنا، بَعْدُ، عَوْدَةٌ إلى أصالةَ النورِ ورِقَّتِهِ؟

أَيَكونُ لنا، بَعْدُ، أَنْ نَستَعيدَ ذاتَنا مِن قَبْضَةِ الظلامِ، وَأَنْ نَفْتَحَ بَصيرَتَنا، مرَّةً أخرى، على صوتِ الحكمةِ الضائعِ؟

أَيَكونُ لنا، بَعْدُ، أَنْ نَخرجَ مِن ضَياعِ **آدمَ**، لِنُسَدِّدَ خطانا، ونسيرَ مرّةً أُخرى، نحوَ الفردوسِ المستَعادِ؟

أَيَكونُ لنا، بَعْدُ، أَنْ نَشهَدَ الْتِئامَ المؤسَّسَةِ، ونهوضَ الكنيسةِ بقوَّةٍ، حامِلَةً لِواءِ ***الكلمةِ*** وميثاقَها، بِلا زيفٍ، وبِلا زيغٍ، لِيَستَقيمَ الخَلْقُ، مرّةً أُخرى، ويَسْتَعيدَ العالَمُ إيقاعاتِهِ الطبيعيَّةَ؟

أَيَكونُ لنا، بَعْدُ، أَنْ نَبْلُغَ معبدَنا الداخِلِيَّ، وقد انتَصَرْنا على قَتَلَةِ مهَنْدِسِنا العَظيمِ، لِنرفَعَ فيهِ قلوبَنا بِبُخارِ الصّلاةِ، ونَعثُرَ هناكَ على ذاتِنا الحقيقيّةِ؟ نيسان–أيار ٢٠٢٠	



في هذا العالمِ الرهيبِ، حيثُ تُسيطرُ روحُ "مِفيستو" عَبْرَ قَلْبِ آدمَ، أَتَكونُ لنا، بَعْدُ، عَوْدَةٌ إِلى أصالةَ النورِ ورِقَّتِهِ؟

أَيَكونُ لَنا، بَعْدُ، أَنْ نَستَعيدَ ذاتَنا مِن قَبْضَةِ الظلامِ، وَأَنْ نَفْتَحَ بَصيرتَنا، مرَّةً أخرى، على صوتِ الحكمةِ الضائعِ؟

أَيَكونُ لنا، بَعْدُ، أَنْ نخرجَ مِن ضَياعِ آدَمَ، لِنُسَدِّدَ خطانا، ونسيرَ مرّةً أُخرى، نحوَ الفردوسِ المستَعادِ؟

أَيَكونُ لنا، بَعْدُ، أَنْ نَشهَدَ الْتِئامَ المؤسَّسَةِ، ونهوضَ الكنيسةِ بقوَّةٍ، حامِلَةً لِواءِ *الكلمةِ* وميثاقِها، بِلا زِيفٍ، وبِلا زَيغٍ، لِيَستَقيمَ الخَلْقُ، مرّةً أُخرى، وَيَسْتَعيدَ العالمُ إيقاعَاتِهِ الطبيعِيَّةَ؟